• العنوان على الانترنت
WWW. akhbarelyom. org\ketab
• البريد الالكتروني
akhbar@akhbarelyom. org

دار أخبار اليوم
قطاع الثقافة
جمهورية مصر العربية
٦ شارع الصحافة القاهرة
تليفون وفاكس : ٢٥٠٩٢٣٠

إحسان عبد القدوس

النساء لهن أسنان بيضاء

غلاف بريشة : **سيد عبدالفتاح**

القصة والتطور

بقلم : إحسان عبد القدوس

هذه القـصص من وحى نـظرات سـريعـة إلى قطاعـات كثـيرة فى المجتـمع .. وهى نظرات تنتهى إلى صـور تحرك خيالى .. وإلى آراء تسيطر على فكرى ..

ولكن ..

مجتـمعنا يتطور ويتغـير بسرعة .. فـالصور التى نراها اليوم فى المجـتمع ، تختلف عن الصـور التى رأيناها أمس ، وتختلف عن الصور التى نراها غدا ..

إن مجتمـعنا أسير التطورات الطبقية العنـيفة التى تحدث فيه .. وهو أيضا أسير الأحداث الوطنية والسياسية التى تمر به .. والصور الاجتماعية التى تشكلت بعد ثورة ٢٣ يوليو ، تختلف عـن الصور التى كانت قـائمة قبـل الثورة .. ونفس الصـور التى تشكلت بعد الـثورة تتـغير معـالمها وتتـغير خطوطها بالتغييرات والأحداث الكثيرة التى حققتها الثورة .. وكل هذه التغيرات والتطورات تغير معها وتطور خيال كاتب القصة ..

وبمعنى آخر ..

إن كل قصـة تعبر عن حالة اجـتماعـية معينة ، عـرضة دائما للتطور ..

وأبرز مـا يعـبر عن هذا التـطور فى هذه المجمـوعـة من القصص هى قصـة « القضية نائمة فى سـيارة كاديلاك » ،

وهى قصة أردت بها أن أرمز إلى حالة اجتماعية وسياسية معينة احاطت بقضية فلسطين ، قبل حرب يونيو ٦٧ ، وقبل أن يستكمل الكيان الفلسطينى نفسه بتنظيم الحركة الفدائية القوية التى يواجه بها إسرائيل .. فهى قصة ترمز إلى حالة اجتماعية مضت .. والبطل فى هذه القصة يرمز إلى الحيرة والضياع الذى كان يعانيه الشباب الفلسطينى فى هذه المرحلة .. والمرأة فى القصة ترمز إلى موقف بعض الدول العربية التى كان الشباب الفلسطينى يلجأ إليها ويخدع بها .

وقد تغير هذا الوضع وتطور ..

وقد حاولت بعد أن نشرت هذه القصة لأول مرة ، أن أمد خطوتها بحيث أحرك أبطالها فى نطاق الوضع الجديد للقضية .. بل حاولت أكثر من ذلك .. حاولت أن أجعل من هذه القصة مقدمة لفيلم سينمائى يتطور فيه البطل إلى أن يصبح شابا فدائيا ويجد لنفسه طريق العودة ، وتتطور المرأة إلى أن تصبح أداة من أدوات الحركة الفداية .

ولكنى عدلت عن هذه المحاولة لسببين :

● أن العمل الأدبى يجب أن يبقى كما هو ليمثل المرحلة التى يعبر عنها .. وكل الأعمال الأدبية تمثل دائما مراحل اجتماعية ووطنية معينة .. وقصص كل الأدباء العالميين ينظر إليها دائما على أنها صور تاريخية ، تعبر عن مرحلة من مراحل التاريخ ..

● السبب الثانى هو أنى فضلت أن ابدأ المرحلة الجديدة التى يمر بها الشعب الفلسطينى بقصة جديدة ، حتى أكون أصدق وأقوى فى التعبير عن خيالى وأحاسيسى وآرائى وعواطفى ..

ولذلك .. فإنى أرجو لكل من يقرأ قصة « القضية نائمة فى سيارة كاديلاك » أن يقرأها على أنها تمثل مرحلة تاريخية مرت ، ولحقها التطور والتغيير .

وشىء آخر ..

فإنى كلما كتبت قصة أواجه بآلاف الأسئلة تتلخص فى سؤال واحد :

من هو ؟

ومن هى ؟

والواقع أنى لا أكتب أبدا قصة عن رجل معين بالذات ، أو عن امرأة معينة بالذات .. ولكنى أكتب دائما عن رجل وامرأة كل منهما يمثل صورة اجتماعية قائمة فعلا .. فواقع القصة ليس فى أشخاصها ، ولكنه فى المجتمع الذى يحيط بهم .. وقد يجد عشرات الرجال وعشرات النساء أنفسهم أبطالا وبطلات لقصصى .. وقد يحس بعضهم وهو يقرأ أنه ينظر إلى مرآة يرى فيها نفسه .. ورغم ذلك .. فإن كل هؤلاء ليسوا أبطالا ولا بطلات للقصة ، ولكن الصورة الاجتماعية التى ترسمها القصة هى التى تثير فيهم هذا الإحساس ..

ورغم ذلك فأنا دائما أرحب بالتساؤل .. من هو ، ومن هى .. لأن مجرد التساؤل يعنى أن القصة نجحت فى تصوير مجتمع معين كما هو قائم فعلا .. وهو نجاح يسعد به كل كاتب قصة ..

وبعد ..

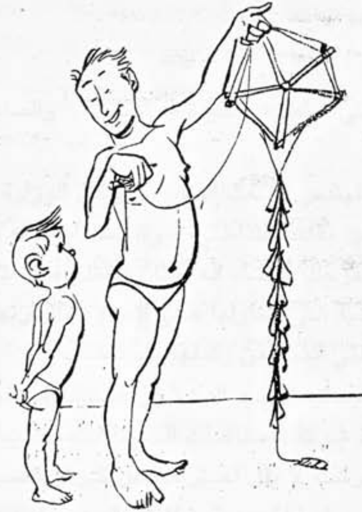
هذه القصة هى آخر ما كتبت حتى اليوم ..

ربما كان فيها جديد بالنسبة للقصص التى سبق أن كتبتها ..

وكل ما أتمناه هو أن أكتب أكثر .. لعلى أستطيع أن أجدد أكثر .. فإن أزمتى الحقيقية هى أنى لا أتمنى أبدا أن أكرر نفسى ، ولا أن احتفظ بكيان أدبى واحد .. إنى لن احتفظ بشبابى الأدبى أبدا إلا إذا استطعت أن أجدد وأن أتقدم .. فالشباب هو التقدم نحو الجديد .

أدعوا لى ..

إحسان عبد القدوس



فنجان قهوة.. فوق حلة ملوخية!

كابين علـى شاطىء « عايدة » بالمنتـزة .. والساعـة الرابعة بعد الظهر ..

والسيد المهندس رفـعت البسيونى وكيل الوزارة ، مـسترخ فوق مقعد من مقاعد الشاطـىء ، وقد عقد أصابعه فوق كرشه الكبيـر ، وانفرجت شفتـاه الغليظتان لتنطلق من بينهمـا أبخرة فـتـة الملوخـية التى تـناولها عـلى الغداء ، وأثـارتها زجـاجـة الكوكاكولا التى انتهى من رشفها منذ لحظات .

وجلس بجـانبه السـيد الدكـتـور عبـد العظيم فهـيم رئيس مجلس إدارة شركة الصناعـات الحديثة .. مستلقيـا على مقعد آخـر .. وكـرشــه لا يقل احـترامـا عن كـرش السـيـد رفـعت البسيـونى .. وقد أخفى عينيـه المنتفختـين وراء نظارة سوداء كبيرة تتناسب مع وجهه العريض ورأسه الكبير .. ويغفو خلق النظارة السـوداء برهة ، ثم يفتح عـينيه ويطوف بلسـانه على شفتيه ليمسح عنهما أثار الأكلة الدسمة .. ثم يعود ويغفو ..

وعلى أريكة صـغـيرة من ارائـك الشاطىء جلـس الاستـاذ ممدوح السـيد مـدير عام مـؤسسـة الأخشـاب .. ويمتـاز عن صديقيه بقوامه الرفيع ، ووجهه النحيل ، وعينيه العصبيتين ..

وكان يقرأ فى مجلة وشفتاه مقلوبتان فى قرف وسخط .. ولم يكن قرفانا من المجلة التى يقرؤها ، ولكن خطوط شفتيه ترسم بطبيعتها تعابير القرف والسخط دون أن يتعمدها ، ودون أن يكون فعلا قرفانا أو ساخطا .

وأمام الثلاثة مائدة خشبية عليها آنية كبيرة مليئة بالفاكهة .. عنب وتين وخوخ وبرقوق .. وبضعة أطباق تحمل بقايا بطيخ ..

وقال المهندس رفعت البسيونى ، دون أن تتحرك عضلات وجهه كأنه يتحدث من بطنه :

– يا أخى الواحد ما بيحرمش .. ميت مرة أحلف إنى آكل خفيف وأمشى على رجيم .. إنما أول ما أشوف الملوخية أنهار .. أنهيار كامل ..

وقال السيد الدكتور عبد العظيم فهيم فى صوت نائم كأن شخصا آخر يتحدث من خلف نظارته السوداء :

– لك حق .. كله إلا الملوخية .. فيه حاجتين ما أقدرش أقاومهم .. أم كلثوم .. والملوخية ..

وانفرجت شفتا رفعت البسيونى كأنه يهم بالابتسام أو يهم بالتثاؤب .. وقال الأستاذ ممدوح وهو لا يزال يطل فى صفحات المجلة وشفتاه مقلوبتان :

– وهى كانت ملوخية بس .. دى ملوخية ورز ودمعة ، وكفتة ، وأرانب ، وضلمة ، وعيش .. الملوخية ما بتعملش حاجة .. اللى بتعمل هى الفجعنة .. يعنى الواحد لو أكل ملوخية من غير فجعنة ما يتعبش ..

وقال رفعت البسيونى فى استرخاء :

– أولا الملوخية لا تقاوم .. يعنى اللقمة منها تجر ألف .. ثانيا حضرتك هابد رغيف ونص .. كنت أنا باشرب بالملعقة وانت بتغمس غيرشى أنت زى القطط ما يبانش عليك نعمة ..

وقال الدكتور عبد العظيم وكرشه يهتز تعبيرا عن الضحك :

– انت كنت بتعد علينا اللقم والا إيه .. أوعى تكون عديت على أنا كمان ..

وقال رفعت البسيونى :

– انت عايز إدارة حسابات علشان تعد عليك يا دكتور .. أنا ما باعدش إلا على ممدوح .. غايظنى يا أخى .. مهما أكل يفضل مسلوع زى ما هو ..

ثم التفت إلى الكابين الملاصق حيث اجتمعت زوجات الثلاثة ، وقال وهو يطلق لهب الملوخية من بين شفتيه :

– خليهم يعملوا لنا قهوة يا خديجة .. يمكن تهضم ..

والتفتت إليه زوجته خديجة وقالت وابتسامة كبيرة تملأ وجهها المترهل :

– حاضر .. من عنيه ..

ثم رفعت صوتها تنادى السفرجى :

– يا محمد .. و ..

وقاطعتها فتحية حرم الدكتور عبد العظيم :

– لا والله .. ما حدش يعمل القهوة إلا أنا .. ده أحنا بننا لسه طازة ومحوج بالحبهان .. الحاجة الوحيدة التى بتحداكى فيها يا خديجة هانم هى القهوة ..

ثم التفتت إلى السيد رفعت البسيونى واستطردت :

– فى ذمتك دقت قهوة زى قهوتى يا رفعت بيه ..

وقال رفعت البسيونى :

– الحقيقة لأ .. أنا مبارح شربت من إيدك فنجال قهوة يهوس .

وقالت فتحية وهى تمد عنقها إلى أعلى ، وتهز من فوقه رأسها :

– ما هى خديجة هانم مشهورة بطبق فتة الملوخية ، وأنا مشهورة بفنجال القهوة ..

وقال الدكتور عبد العظيم من خلف نظارته السوداء :

– لو جيتوا للحق أنا مافضليش من مراتى إلا فنجال القهوة..

واهتز كرشه تعبيرا عن الضحك ..

وقال رفعت البسيونى :

– ما هو من خيبتك !

وانطلقت من شفتيه قهقهة عالية تحمل رائحة جثث الأرانب التى استشهدت فى حلة الملوخية ..

وقال الأستاذ ممدوح السيد ، مقلوب الشفتين :

– والله عال .. بيت مشهور بالملوخية .. وبيت مشهور بالقهوة .. وبيت مشهور بأم على .. وبيت مشهور بالكنافة .. وبعد كده نقول اشتراكية .

واستقام ظهر المهندس رفعت البسيونى فوق المقعد الذى

يجلس عليه ، ونظر إلى ممدوح السيد نظرة قوية كأنه يتحفز لخوض معركة ، وقال :

– مالها الاشتراكية .. هى الاشتراكية قالت الناس ما تاكلش والا ما تشربش قهوة ..

وقال ممدوح السيد وهو يعود ويلقى بعينيه فى صفحات المجلة .. وشفتاه مقلوبتان :

–لأ .. ما قالتش ..

وساد الصمت بين الثلاثة برهة ..

أخرج المهندس رفعت البسيونى لسانه ومسح به على شفتيه ..

وأغفى الدكتور عبد العظيم فهيم ، خلف نظارته السوداء ..

وألقى الاستاذ ممدوح السيد المجلة من يده ومد ساقيه على الأريكة التى يجلس عليها ..

ثم التفت رفعت البسيونى إلى الكابين الملاصق ، وقال وهو يتنهد فى ملل وكرشه الممتلىء يخنق أنفاسه :

– أمال فين القهوة يا فتحية هانم ..

وقالت فتحية وهى تقذف قشر اللب من بين أسنانها :

– جاية حالا .. أصل أنا ما اعملش قهوتى إلا على السبرتو.. أصول القهوة ما تتعملش إلا على نار هادية ..

وهز رفعت البسيونى رأسه فى وقار كأنه استفاد معلومات جديدة خطيرة ، ثم مد يده إلى طبق الفاكهة ، وقبل أن يلتقط أقرب خوخة ، توقفت يده . وقال وهو ينظر أمامه بعينين مفتوحتين على آخرهما :

– اتفضلوا شوفوا آخر التقاليع .. بأه فى ذمتكم الراجل ده عاقل ..

وفتح الدكتور عبد العظيم عينيه ، واعتدل الاستاذ ممدوح فى جلسته ونظر كلاهما إلى حيث ينظر رفعت البسيونى ..

وكان السيد أحمد شكرى يسير على الشاطىء حافى القدمين ، مرتديا نصف مايوه ، وقد لفحت شمس الاجازة لون جلده فأصبح ، فى لون البفتيك المشوى ، والهواء يطير الشعر الأبيض من فوق رأسه ومن فوق صدره ، وكان ممسكا فى يده بطيارة كبيرة من الورق ..

طيارة التى يلعب بها الأطفال .

وقال الاستاذ ممدوح :

– أنت بتبص على إيه ؟

وقال رفعت البسيونى :

– بابص على الراجل المجنون اللى اسمه أحمد شكرى ..

وقال ممدوح :

– ماله ؟..

وقال رفعت البسيونى فى غيظ :

– ماله ازاى .. أنت مش شايف بيعمل إيه .. ده ناوى يطيّر طيارة ..

وقال ممدوح ، وشفتاه مقلوبتان :

– وفيها إيه لما يطيّر طيارة ..؟

وقال رفعت البيسونى بحنق :

– ما تجننيش يا جدع أنت .. بأه راجل زى ده عنده فوق الاربعة وخمسين سنة ، ورئيس مؤسسة من أكبر مؤسسات البلد ، يقف يعمل زى العيال ويطير طيارة .. وبعد كده تقول لى فيها أيه ..

فيها مسخرة .. فيها قلة قيمة ..

وقال الدكتور عبد العظيم :

– لك حق يا رفعت .. دى بهدلة ..

وقال ممدوح :

– أنا مش شايف فيها هاجة .. مين قال إن العيال بس هم اللى يطيروا طيارات .. اللى عايز يطير طيارة يطير ، سواء كان عيل ، والا راجل ، والا شيخ أزهر حتى ..

وقال رفعت بحدة :

– المركز يا ممدوح يا أخويا .. المركز له احترامه .. وده راجل الثورة حطته فى مركز كبير يبقى لازم يحترم مركزه ..

وقال ممدوح وشفتاه مقلوبتان فى هدوء :

– ومين قال أن اللى يطير طيارة ما يبقاش محترم .. دى هواية .. رياضة ..

وقال رفعت البسيونى وهو يزداد حدة :

– والله عال .. يعنى لو قام رقص تويست والا ليمبو ، يبقى اسمه بيعمل رياضة برضه ..

وقال الدكتور عبد العظيم :

– أنت بتقول فيها .. امبارح حضرته كان عامل حفلة فى

الكابين قعدت صهرانة لنص الليل .. والبيك آب داير ..

وقال رفعت البسيونى :

– حفلة .. عاجباك يا أستاذ ممدوح .. بقه ده وقت حفلات .. ده الناس بتخاف تعمل حفلة شاى ، يقوم حضرته يعمل حفلة ساهرة ..

وقال ممدوح :

– اللى أعرفه أنها كانت سيربريز بارتى ..

وقال رفعت البسيونى :

– إيه يا سيدى .. سير بريز إيه ..

ورد ممدوح السيد :

– سيربريز بارتى .. يعنى كل واحد من المعازيم جاب أكله وشربه معاه .. يعنى حفلة تعاونية .. يعنى الحفلة ما كانتش مظهر من مظاهر الاسراف .. يبقى مافيهاش حاجة عيب ..

وأطلت خديجة زوجة رفعت البسيونى برأسها من الكابين الملاصق وقالت :

– تحبوا تاخدوا إيه مع الشاى .. نبعت السواق يجيب جيلاتى من جليم ، والا نبعته البلد يجيب جاتوه من عند فلو كنجر ..

واستراح وجه المهندس رفعت البسيونى ، وقال :

– أنا شخصيا عايز دندرمة لمون .. تهضم ..

وقال الدكتور عبد العظيم وكرشه يهتز تعبيرا عن الضحك :

– كلنا دندرمه لمون ..

وقال رفعت البسيونى :

– بس فين القهوة ..

وقالت خديجة وقد تهلل وجهها :

– أهى جت أهه ..

ودخل إلى الكابين سفرجى نوبى مرتديا بدلة كاملة .. بنطلون أسود ، وجاكتة بيضاء .. وطاف على الثلاثة بصينية القهوة ..

ورشف رفعت البسيونى من فنجان القهوة ، رشفة حارة انطلقت فى صوت كالشخير ، وقال دون أن يلتفت إلى الكابين الملاصق :

– تسلم إيدك يا فتحية هانم .. قهوة مدهشة ..

ثم أطلق عينيه وركزهما على أحمد شكرى ..

وكان أحمد شكرى قد جلس على ركبتيه فوق رمال الشاطىء ووضع الطائرة الورق أمامه وبدأ يعدها للطيران ..

وقال الدكتور عبد العظيم :

– هو بيعمل إيه ؟

وقال الاستاذ ممدوح السيد :

– بيصلح ميزان الطيارة ..

وقال المهندس رفعت البسيونى :

– يروح يصلح ميزان تصرفاته هو الأول .. بأه حضرته كان عامل حفلة إمبارح .. والله عال .. طيب يتدارى .. اللى عايز يعمل حفلة يعملها فى بيته ، مش قدام الناس .. هو مش

حاسس أن فيه اشتراكية فى البلد ..

وقال الاستاذ ممدوح السيد :

- يتدارى ليه .. هوه عمل جريمة .. ومين قال إن الاشتراكية بتمنع الناس من أنها تعمل حفلات .. والا بتدخل فى الحرية الشخصية .. اللى عايز يعمل حفلة يعمل .. واللى عايز يرقص يرقص .. واللى عايز يطير طيارة يطير ..أنت فاهم الاشتراكية إيه .. محزنة ..

وقال رفعت البسيونى وقد بدأ يحتد :

- المظهر يا أستاذ ممدوح .. المظهر عليه عمل .. وده راجل مسئول .. رئيس مؤسسة .. ولازم يحافظ على مظهره .. و ..

وقاطعه ممدوح السيد وقد ازداد تعبير القرف على شفتيه :

- المظهر اللى بتتكلم عليه ده كان زمان .. زمان كان لازم تلبس بدلة وطربوش علشان تبقى محترم .. النهاردة ممكن تلبس قميص وبنطلون وبرضه تبقى محترم .. وتبقى رئيس وزارة كمان .. المقاييس اتغيرت .. النهاردة ما حدش بيحكم على الناس بمظهرها .. كل واحد يشغله .. بعمله ..

وقال الدكتور عبد العظيم من خلف نظارته السوداء :

- احنا حانبتدى نخطب والا أيه ؟

وقال المهندس رفعت البسيونى وهو ينظر إلى ممدوح السيد بغيظ :

- سيبه يخرف لغاية ما ياخد على دماغه .. الكلام ده كلام نظرى .. الواقع غير كده .. وبكره تشوفوا اللى حايحصل

لاحمد شكرى .. و ..

وأطلت جيهان حرم الاستاذ ممدوح السيد على الكابين ، ومدت يدها بمجموعة من القراطيس الصغيرة ، وقالت فى صوت رقيق :

- تاخدوا لب ؟



ووقف أحمد شكرى على قدميه ، ورفع الطائرة الورق بذراعه إلى أعلى رأسه ، ويده الأخرى ممسكة بلفة الدوبار .. ثم جرى بضع خطوات .. وأطلق الطائرة فى الهواء ..

وقال المهندس رفعت البسيونى :

- أتفضل يا سيدى .. أهو ابتدى يجرى زى العيال ..

ولم يرد عليه أحد ..

تركزت عيون الدكتور عبد العظيم والأستاذ ممدوح على الطائرة وهى ترتفع فى الهواء..

وسكت رفعت البسيونى ..

وركز عينيه هو الآخر على الطائرة ..

وارتفعت الطائرة أكثر ..

واعتدل رفعت البسيونى فى جلسته ومد جسده وعنقه إلى الأمام ليتمكن من ملاحقة الطائرة بعينيه .. ثم انتبه إلى نفسه .. وعاد واسترخى فى جلسته مغتاظا من نفسه ، وقال كأنه يتكلم من بطنه :

- بلا لعب عيال ..

وانتقل ممدوح السيد إلى حافة الأريكة التى يجلس عليها حتى يتمكن من متابعة الطائرة ، وقال وعيناه مبهورتان :

– ياه .. دى عليت قوى ..

وأحنى الدكتور عبد العظيم كل جسده إلى الأمام ، ولف عنقه ، إلى آخر ما يستطيع ، كأنها مركبة فوق كتفيه بقلاووظ .. ثم قال وهو يلهث :

– مش معقول .. فى دقيقة واحدة قربت توصل للسحاب ..

وارتفعت الطائرة أكثر ، وأكثر ، حتى تعدت فى ارتفاعها صف الكباين .. ولم يعد أحد من الثلاثة يستطيع رؤيتها وهو فى جلسته ..

وأحمد شكرى واقف على الشاطىء ممسكا بخيط الطائرة .. ورأسه مرفوع إلى السماء ، والهواء يطير شعره الأبيض من فوق رأسه وصدره ، وقد تهلل وجهه فى فرح ونشوة ، والتف حوله مجموعة من الأولاد والبنات يرفعون رؤوسهم معه إلى السماء وهم مبهورون بطائرته ..

والثلاثة فى الكابين صامتون ..

والتقط رفعت البسيونى قرطاساً من قراطيس اللب ، ومزقه بعصبية ، وأخذ يقزقز فى غيظ .. ثم التفت إلى عبد العظيم قائلا :

– تاخد لب ..

وفتح عبد العظيم كفه فى استرخاء وصمت ، ووضع له فيها رفعت البسيونى كمية من اللب :

وقام ممدوح السيد واقفا ، وهو يقول :

– يا خويا هى الطيارة راحت فين ؟

وقال الدكتور عبد العظيم وفى صوته رنة حسرة :

– تلاقيها دلوقت فوق الشارع العمومى ..

وخرج ممدوح السيد من الكابين ورفع رأسه إلى السماء باحثا بعينيه عن الطائرة .. ثم بدأ يتقهقر بخطواته إلى الوراء مقتربا من أحمد شكرى ، وهو يحاول ألا يبدو متعمدا الاقتراب منه .. إلى أن أصبح بجانب أحمد شكرى وسط مجموعة الأولاد والبنات المتطلعين إلى السماء .. وهو لا يزال رافعا رأسه إلى أعلى متبعا الطائرة .. ولمحه أحمد شكرى ، وقال له وعلى شفتيه ابتسامة تحمل نشوته بطائرته :

– أهلا ممدوح ..

وقال ممدوح السيد وهو يحلق فى الطائرة ، وفى صوته بهرة :

– دى عليت قوى ..

وقال أحمد شكرى فى لهجته السريعة المختصرة :

– ميتين وعشرين قدم ، ولسه معايا دوبارة خمسين قدم ..

وقال ممدوح السيد كأنه يتنهد :

– ياه ..

وظل مبحلقا فى الطائرة .. ثم قال بعد فترة :

– إنما دى موزونة قوى ..

والتفت إليه أحمد شكرى وابتسم له ابتسامة صامتة ، ثم عاد يقود طائرته الورق ..

وعاد ممدوح السيد يقول :

– سيادتك اللى عملت الطيارة بنفسك ..؟

وقال أحمد شكرى فى اختصار :

– أيوه .. طول عمرى غاوى طيارات . أعملها وأطيرها ..

ثم نظر إليه كأنه يعرف ما يريده ، واستطرد قائلا :

– تحب تمسكها شوية ..

وتهلل وجه ممدوح السيد واكتسى وجهه ببراءة الأطفال وحماسهم ، ومد يده إلى أحمد شكرى فى صمت ، كأن فرحته كانت أقوى من الكلام ..

وناوله أحمد شكرى خيط الطائرة ، قائلا :

– خليها معاك لغاية ما أنزل البحر شوية وأرجع لك .. بس خد بالك ..

وأمسك ممدوح السيد بالخيط وتبت عليه بأصابعه بقوة ، وقد بدت على وجهه علامات اهتمام كبير خطير ، كأنه يقود طائرة حقيقية .. طائرة ميج نفاثة ..

ولمحه الدكتور عبد العظيم وهو جالس فى الكابين .. ورفع نظارته السوداء الكبيرة عن عينيه كأنه يريد أن يتأكد مما يراه .. ثم صاح فى دهشة :

– ده ممدوح اللى بيطير الطيارة ..

ونظر رفعت البسيونى إلى حيث يقف ممدوح ، وقال :

– ما هو مجنون هو راخر ..

وقال عبد العظيم :

– أما حكاية .. ما كان قاعد جنبنا بعقله ..

ثم حمل كرشه الكبير وقام بصعوبة من فوق مقعد الشاطىء ، وهو يستطرد قائلا :

– أما أقوم أشوف الجدع ده جرى له إيه ..

وسار نحو ممدوح ، ورفعت البسيونى يصيح وراءه :

– يا راجل خليك عاقل ، ما تعملش عقلك بعقل المجانين ..

ووقف الدكتور عبد العظيم بجانب ممدوح وسط مجموعة الأولاد والبنات المتطلعين إلى السماء ..

وتطلع عبد العظيم إلى السماء هو الآخر ..

والتفت إليه ممدوح السيد وقال مبتسما والنشوة تكسو وجهه :

– دى شديدة قوى .. بتشدنى شد .. شوية شوية هاتاخدنى وتطير بى ..

وتلفت الدكتور عبد العظيم حوله كأنه يخشى أن يراه أحد ، ثم قال لممدوح فى تردد :

– ورينى كده ..

وابتسم له ممدوح كأنه يمن عليه بفرحة كبيرة ، وناوله خيط الطائرة قائلا :

– بس تبت عليها كويس .. أوعى تفلت منك ..

وأمسك الدكتور عبد العظيم بالخيط ، وقد انتفضت كل عضلاته حتى بدأ كرشه يتصلب ، وعلت وجهه أمارات الاهتمام الشديد .. وممدوح بجانبه واقف متحفز كأنه يستعد لانقاذه فى وقت الخطر .

ورفعت البسيونى يرقبهما من بعيد وهو جالس فى الكابين .. وحاول أن يتشاغل عنهما بقزقزة اللب .. ولكنه ما لبث أن ألقى اللب من يده فى قرف وزهق .. وأخذ يتململ فى مقعده فى ضيق .. وكرشه يتململ معه والملوخية ترتج فى داخله .. ثم جذب المجلة الأسبوعية وحاول أن يتصفحها ، ولكنه عاد وألقى بها جانبا .. ثم قام مرة واحدة من على مقعده ، وسار نحو صديقيه يتقدمه كرشه الضخم ..

ووقف هو الآخر بين الأولاد والبنات المتطلعين إلى السماء ..

ولكنه لم يرفع رأسه إلى السماء .. حاول أن يتظاهر بعدم الاهتمام .. وقال فى لهجة حاول أن تبدو جادة :

– كفاية بهدلة بأه .. الناس ابتدت تاخد بالها وتضحك عليكم ولم يرد عليه أحد ..

واضطر رفعت البسيونى بعد برهة أن يرفع رأسه ليتتبع الطائرة .

والتفت إليه الدكتور عبد العظيم قائلا :

– دى شديدة قوى .. دى حاتشيلنى من على الأرض شيل ..

وقال رفعت البسيونى فى لهجة وقور :

– طول لها الدوبارة شوية ..

وسمع الدكتور عبد العظيم الكلام ، وأطلق الدوبار للطائرة ..

ومالت الطائرة فى الهواء .. وظهر الجزع على وجه الدكتور عبد العظيم .. وصاح رفعت البيسونى بلهجة آمرة :

– شدها عليك .. ارفع ذراعك لفوق وشد ..

وسمع عبد العظيم الكلام .. و اعتدلت الطائرة فى الهواء ..

وقال رفعت البسيونى :

– أيوه كده .. أرخى بأه ..

وأرخى عبد العظيم الخيط .. وبدأت الطائرة تنحرف فى الهواء .

وصاح ممدوح السيد :

– يا جماعة بلاش لعب .. خليك ماسكها يا عبد العظيم زى ما كنت .

وصاح رفعت البسيونى بلهجته الآمرة :

– يا جدع مش كده .. شد عليك تانى .. أيوه كده ..

واعتدلت الطائرة فى الهواء ..

واقترب السفرجى الذى يلبس البنطلون الأسود ، والجاكتة البيضاء ، من رفعت البسيونى وقال فى أدب :

– ست هانم بتقول لسعادتك أتفضل الدندرمة وصلت ..

ورد رفعت البسيونى كأنه ينهره :

– حطوها فى التلاجة لغاية ما آجى ..

ثم التفت إلى الدكتور عبد العظيم قائلا :

– ورينى كده يا عبد العظيم ..

ثم أخذ خيط الطائرة من عبد العظيم كأنه يخطفه منه ..

ورفع به ذراعه فى الهواء وشد الطائرة شدة قوية .. ولكنه فوجىء بقوة مقاومة الطائرة فى الهواء .. فاختل توازنه .. واختل توازن الطائرة أيضا ..

وكاد رفعت البسيونى يقع منكفئا على وجهه ، ولكنه استعاد توازنه بسرعة .. وأرخى الخيط بسرعة للطائرة .. فاعتدلت فى الهواء برهة .. ثم عادت وانحرفت انحرافا حادا ..

وصرخ الدكتور عبد العظيم :

– حاسب يا رفعت ..

وتقدم ممدوح السيد قائلاً :

– هات يا رفعت .. أنت مش عارف تطيرها ..

وأزاحه رفعت البسيونى بذراعه ، قائلا وقد بدأت أنفاسه تلهث :

– سيبنى .. يعنى إيه مش عارف أطيرها .. هى شغلانه ..

ثم جذب الطائرة إليه بعنف بعد أن ثبت قدميه فى الأرض .. فعادت واعتدلت .. ولكنها ما لبثت أن انحرفت إلى الناحية الأخرى ، وبدا كأنها ستهوى على الأرض ..

وصرخ الأطفال فى جزع :

– الطيارة حاتقع .. الطيارة حاتقع ..

وصاح عبد العظيم :

– أنا متهيأ لى أن ورقها انقطع .. مش حانعرف نوزنها تانى .

وصاح ممدوح السيد :

– نزلها بسرعة يا رفعت .. شد الدوبار كله عليك ..

وقال رفعت البسيونى ، وقد بدأ العرق يتصبب من وجهه ، وكرشه يرتعش أمامه :

– صبركم على .. أنا حا أعدلها لكم ..

وأرخى خيط الطائرة ، فاعتدلت لتنحرف فى الناحية الأخرى .. ثم أخذت تتأرجح فى الهواء .. تنحرف إلى اليمين .. ثم إلى اليسار .. وتهوى مرة .. ثم ترتفع مرة .. وهجم ممدوح السيد يريد أن يأخذ الخيط من رفعت البسيونى بالقوة ، ورفعت البسيونى يرفض ، ويقاومه ..

وصرخ الأطفال فى هلع :

– الطيارة وقعت .. الطيارة وقعت .

وتصلب الثلاثة الكبار وهم يتتبعون الطائرة ، وهى تهوى رأسيا نحو الأرض .

ثم قال رفعت البسيونى وهو يلتقط أنفاسه :

– دى حاتقع عند النخل .. يا للا بينا نلحقها ..

ثم جرى هو وكرشه .. جرى بخفة وسرعة لم يجر بهما من قبل .. وجرى خلفه الدكتور عبد العظيم وقد بدا كأن كل قطعة من لحمه المترهل تكاد تسقط من فوق عظامه .. وجرى معهما الأولاد والبنات دون أن يتطلعوا إلى السماء ..

وتكعبل الدكتور عبد العظيم بعد خطوتين ، وسقط على الأرض .

وضحك الأطفال ..

وممدوح السيد يسير فى خطوات حـزينة حائرة ، يفكر فيما سيقوله لصاحب الطائرة من أعذار ..

ورفعت البـسيونى لا يزال يجرى وهو يـتتبع بعينيـه خيط الطائرة وخـرج إلى الشارع الذى يقع خلف صف الكبـاين عند شاطىء عايـدة .. وهو لا يزال يتتبع بعينيـه خيط الطائرة .. لم يتنبه إلى أنه أصبح فى الشارع .. وأن الشارع فيه سيارات ..

وصدمته سيارة ..

وسقط على الأرض صارخا ..

وتجمع حوله الناس ..

وهو يصرخ :

– رجلى .. رجلى انكسرت ..

وانحنى فوقه ممدوح السيد يـحاول أن يحمله .. وجذبه إليه رفعت البسيونى وهمس فى أذنه بصوت متحشرج :

– أعـمل مـعـروف يا ممدوح .. مش عـايز حـد فى الوزارة يعرف حكاية الطيارة .. بلاش فضايح ..

ثم أغمى عليه .



مايوه..
لبنت الأسطى محمود..!

لها وابتسامة متراخية تشق وجهه الأسمر المستدير :

– مستعجلة على إيه يا دولت .. خليكى .. احنا فى أجازة ..

وابتسمت دولت وحاولت أن تبقى بجانبه ، ولكنها لم تطق .. انتفضت من جانبه بعد لحظات ، وقامت لتشرف على بيتها وتعد له أفطاره ..

وتلكأ وهو يغسل وجهه ويتوضأ .. وأطال فى صلاته .. وتباطأ وهو يتناول افطاره .. يمد يدا بطيئة .. ويمضغ فى بطء .. وعيناه تنظران أمامه فى استرخاء .. ثم تنبه فجأة إلى أنه أكل ضعف ما تعوده .. أكل رغيفا ونصف رغيف .. يا خبر .. وقام من على مائدة الافطار .. وجلس على الكنبة الاستامبولى الموضوعة تحت النافذة ، ثم طلب من ابنته الكبرى سميرة أن تعد له فنجان القهوة .. وأرسل ابنته الصغيرة نوال لتشترى له الجورنال .. ثم سرح خياله إلى المصنع .. يا ترى الولاد عاملين إيه .. والماكينة نمرة ستة فيها صامولة ناعمة .. يا ترى الأسطى حنفى أخذ باله من الصامولة دى .. ولا إيه .. وبدأ يتخيل أن كل شىء فى المصنع قد ارتبك فى غيبته .. العمال تركوا الآلات ووقفوا يتضاحكون كعادتهم .. والأسطى حنفى الذى حل محله أثناء اجازته لم يكتشف الصامولة الناعمة وترك الآلة تدور بأقصى سرعتها إلى أن انكسرت ذراعها .. وهز رأسه الكبير فى أسى كأنه يشفق على حال المصنع .. ولكن خياله ما لبث أن أنتقل إلى صورة أخرى .. صورة المصنع يسير فى نظامه وكأنه لم يتغيب عنه .. الآلات لم تستوحش الأسطى محمود .. والعمال يعرفون عملهم

وكأنهم ليسوا فى حاجة إلى الاسطى محمود .. والأسطى حنفى اكتشف الصامولة الناعمة وكأنه فى خبرة ومهارة الأسطى محمود .. واغتاظ الأسطى محمود .. اغتاظ لأنه تصور أن المصنع يمكن أن يسير بدونه .. أى أن المصنع يمكن أن يستغنى عنه دون أن يحدث به شىء .. وما هى الاجازة .. إنها استغناء مؤقت .. استغناء مدفوع الأجر .. واشتد به الغيظ .. اقتنع بأن المصنع لم يمنحه أجازة ، ولكنه استغنى عنه .. ورفع كفه ومسح بها على شعر رأسه الأكرت كأنه يطفىء نار غيظه ، ورشف رشفة كبيرة من فنجان القهوة الذى قدمته له سميرة .. وهمس لنفسه .. وماله .. دول كلهم ولادى .. البركة فيهم .. والأسطى حنفى أنا اللى مربيه بايدى .. ياما خد منى ضرب .. وابتسم وهو يتذكر الأيام التى كان فيها الأسطى حنفى عاملا صغيرا ، وكان يضربه ويقسو عليه ليجعل منه عاملا ممتازا .. أمال .. ده تربيتى ..

وبدأ يدير عينيه فى أنحاء بيته ليتلهى عن أفكاره .. وراقب زوجته دولت وهى تنتقل من غرفة إلى غرفة .. إنها سمينة .. لم يلحظ من قبل أنها سمنت إلى هذا الحد .. ربنا يزيد ويبارك .. وابنته سميرة تنشر ملاءات السرير على سور الشرفة .. وتتلكأ .. وتطل على الشارع .. إن نصف جسمها خارج الشرفة .. لا يصح .. إنها فى السابعة عشرة من عمرها .. كبرت ونضجت .. يا بت عيب .. بلاش مياصة .. ونوال لا تستقر فى مكان .. تدخل وتخرج ، وتنزل وتطلع .. لا يهم .. إنها فى الثامنة من عمرها .. سن الشقاوة .. ولكن

برضه .. كان لازم دولت تلمها .. لكن أعمل إيه .. دولت جاهلة .. إنما والله طيبة .. وأميرة .. يا سلام .. دى عشرة العمر ..

ورفع الجريدة التى كانت نوال قد جاءت بها ، وحاول أن يقرأ فيها .. ولكن برضه .. كان لازم دولت تلمها .. واحساس عجيب يداهمه .. إنه يحس أنه غريب .. غريب فى بيته .. غريب عن أصوات الباعة التى تملأ الحارة .. وغريب عن المناقشات التى تدور بين زوجته وجاراتها .. بل غريب عن زوجته نفسها .. إنه لم ير زوجته أبدا فى الساعة الحادية عشرة صباحا .. لقد تعود أن يراها فى السادسة صباحاً قبل أن يخرج إلى عمله .. وتعود أن يراها فى السابعة مساء عندما يعود من عمله .. ولكنه لم يتعود أن يراها فى الساعة الحادية عشرة .. أنها مخلوق آخر فى الساعة الحادية عشرة .. مخلوق لا يعرفه .. ليست هى دولت السادسة صباحا .. ولا دولت السابعة مساء .. ولا سميرة .. ولا نوال .. كل هذا العالم ليس عالم الساعة الحادية عشرة .. إن عالم الحادية عشرة هو عالم ضجيج الآلات ، ووجوه الزملاء .. عالم المصنع .. أما هذا العالم .. عالم بيته .. فهو غريب فيه .. ويحس بالغربة فعلا .. بالضياع .. ضياع الشخصية .. يحس كأنه ليس الأسطى محمود .

إنه لا أسطى ، ولا محمود .. إنه إنسان آخر .. شىء آخر .. تائه ، غريب .. ينظر حوله كأنه يرى كل شىء لأول مرة .. وينظر فى نفسه فلا يحس بكيان نفسه ..

وحانت منه التفاتة فرأى سميرة تطل من الشباك ، وانطلق صارخا :

– جرى إيه يا بت .. مالك لايده من شباك لشباك .. ما تتلمى .

ونظرت إليه سميرة مذعورة ، كأنها تنظر إلى حيوان عجيب مفترس .. إنها هى الأخرى لا تعرف هذا الرجل فى الساعة الحادية عشرة ..

وأحس الأسطى محمود كأن الصوت الذى انطلق صارخا لم يكن صوته .. صوت رجل آخر .. رجل غريب .. ليس هو الأسطى محمود الذى يعرفه ..

ورفع الجريدة أمام عينيه حتى لا يرى وجه سميرة المذعور ..

وبدا وجهه يتقلص خلف الجريدة كأنه يهم بالبكاء .. والتجاعيد فوق جبينه تزداد عمقا .. ليس له أولاد .. لم يعش له أولاد .. لقد أنجب ولدا قبل سميرة .. كان ولدا سليما معافى قالت الدكتورة التى شدته إلى الحياة أنها لم تر مولودا فى صحته ووزنه .. وقد أسماه محمد .. ولكن محمد مات بعد شهرين من ولادته .. فجأة .. حكمتك يارب .. وانجب بعد سميرة ولدين .. ماتا أيضا قبل أن يتم أحدهما عاما من عمره .. لم يعش له إلا سميرة ونوال حكمتك لو أن محمد عاش لكان الآن فى الثامنة عشرة من عمره .. لا .. فى العشرين .. وربما كان يعمل معه الآن فى المصنع .. عاملا .. مين عارف ، يمكن كان ربنا قدرنى وعلمته وبقى مهندس .

ولكن .. لماذا كل هذا الآن .. لقد رضى بقضاء الله من زمان طويل ، وحمده ، وزاده حمدا .. استغفر الله يا رب ..

وعاد وألقى الجريدة من يده .. وقام متباطئا كسولا .. ووقف أمام النافذة ، واختلس نظرة إلى الحارة كأنه كان يخجل أن يراه أحد من بيته فى مثل هذا الوقت .. ثم سار إلى غرفة نومه ، واستلقى على فراشه ..

ليس أمامه الآن ما يفعله إلا أن ينتظر ساعة الغداء ..

ومدت نوال يدها وأدارت مفتاح الراديو ..

إنه لم يسمع الراديو أبدا فى مثل هذا الوقت .. وخيل إليه أن هذا الراديو غير الراديو الذى تعود أن يسمعه فى المساء .

ودخلت زوجته دولت قائلة :

– احنا ناقعين تمر هندى يرد الروح .. أجيب لك كباية ..

وقال الأسطى محمود فى ملل :

– هاتى ..



واستيقظ الأسطى محمود فى اليوم التالى .. يوم فارغ طويل يمتد أمام عينيه .. ونزل من فراشه يسير فى خطوات بطيئة تعبه ، والملل والزهق يرسمان تجاعيد وجهه .. ونوال ابنته لا تكف عن التنطيط ، والخروج والدخول والكلام والغناء .. وبحركة لا إرادية رفع كفه وصفعها على خدها وهو يصيح :

– يا بت ما تهدى باله ..

وبكت نوال .. وارتفع صراخها .. وهرعت إليها أمها

واخذتها إلى غرفتها تحاول أن تسكتها .. وتنبه الأسطى محمود إلى نفسه ، ورسم الندم خطا ثالثا على جبينه بجانب الملل والزهق ..

وتناول افطاره ساهما .. لم يأكل رغيفا ونصف رغيف .. أكل نصف رغيف فقط .. ودولت تلح عليه :

– يا خويا ما تاكل ..

وشوح الأسطى محمود بذراعه قائلا :

– يا شيخة .. ده أنا بقالى أربعة وعشرين ساعة ما عملتش حاجة غير الأكل والنوم .. دى عيشة تزهق ..

ثم قام إلى الكنبة الاستامبولى ، وجلس فوقها ، وطوى ساقيه تحته وأحس وهو يطويهما بألم فى عظامه .. لعله روماتيزم .. ثم شعر بعد قليل بألم فى معدته .. يا ساتر .. وده إيه ده كمان .. والله عجزت وهكعت يا أسطى محمود .. هل يذهب إلى الطبيب .. طبيب المؤسسة .. وفجأة لمعت عيناه .. إنه يعلم ما به .. وفرد ساقيه من تحته فى نشاط وانتفض قائما .. ثم دخل حجرته ، وارتدى بدلته ، ثم خرج من البيت مسرعا دون أن يحيى أحدا ..

وقف ينتظر الأوتوبيس ، ووجهه الأسمر يبرق بالنشاط ، وغاصت تجاعيده فى ابتسامته .. ونظر إلى ساعته .. العاشرة .. تأخر .. لا يهم .. سيذهب .

وذهب إلى المصنع ..

والتقى عند الباب بفريق من العمال صاح واحد منهم :

– جرى إيه يا أسطى محمود .. هى الأجازة خلصت ولا إيه ؟..

ثم التفـوا حوله مهللين وعيـونهم تبرق بالحب .. ونظر فى وجوههم بحنان كبير ، وقال :

– والله وحشتونى يا ولاد ..

ثم تركهم ودخل إلى غرفـة المراقب الذى رحب به ، وقدم له مـقـعدا بجـانبـه ، وطلب له فنجـان قـهـوة .. وجلس الأسطى محـمود وهو لا يدرى بالضـبط ماذا يقـول .. بل لا يدرى لماذا جاء .. لا يدرى إلا أنه لو كـان فى بيته لاختنق .. وبدأ يتـبادل مع المراقب أى كلام ..

واندفع الأسطى حنفى ببـدلتـه الزرقاء إلى الحـجرة يقـول للمراقب دون أن يتنبه إلى وجود الأسطى محمود :

– الماكينة نمرة ستـة فيها صامولة بايظة .. اكـتب للمخازن يبعتوا لنا بدلها .. أنا وقفت الماكينة ..

وقال الأسطى محمود مفزوعا :

– وقفتها ليه يا حنفى .. ما هى تمشى برضه بس بالراحة.. والمخازن مافيهاش قطع غيار .. ما أنت عارف ..

والتفت إليه الأسطى حنفى مهللا :

– عمى ..

ثم هجم عليه وأحتضنه بين ذراعيه وهو يردد :

– ازيك يا اسطى محمود .. وحشتنا ..

ثم ابتعد عنه واستطرد :

– يا راجل .. بقى حد يبقى فى اجازة وييجى برجليه للهم.. إيه اللى جابك ..

وقال الأسطى محمود فى أسى :

– يا ابنى هو أنا بتاع اجازات ..

ثم لمعت عيناه واستطرد قائلا :

– ما تـوقفش الماكـينة يا حنفى .. بس ماشـيهـا على اتنين وسبعين .. بالراحة .. تعال أوريك ..

وتقدم الأسطى محمـود نحو عنبر الآلات ، والأسطى حنفى يسير وراءه قائلا :

– والله أحنا ما نساوى حاجة من غيرك يا أسطى محمود ..

وخلع الأسطى محمـود الجاكتة ووضع أصابعـه العشر فى الآلة .. والعمال من حـوله يبتسمون له ، وعيـونهم تهلل فرحا به.

ودارت الماكينة ..

وبدأ الأسطى مـحـمـود يتجـول فى العنبر ، ويشـرف على العـمل ، كأنه ليس فى أجـازة .. ولكنه بدأ يلاحظ ابتـسامـات العـمـــال من حـوله تـهـتف .. ولاحظ أن الأسطى حـنفى بدأ يتجنبه.. أحس بجو من الاحراج يثيره فى كل خطوة يخطوها .. ربما ضـايق الأسطـى حنفى بتـدخله فى العـمل فى حـين أن المفـروض أنه فى أجازة .. وربمـا أحرج بقـيـة العمـال .. إنهم حائرون هل يستمـعون إلى ارشاداته أم إلى ارشادات الأسطى حنفى .. ولكن لا .. مسـتحيل أن يحـس الأسطى حنفى أو أحد من العمال بالحرج من وجـوده بينهم حتى لو كان فى أجازة .. مش معقول .. دول ولادى .. ده أنا مربيهم على ايديه .. ثم أنه لا يستطيع أن يعود إلى بيته .. هذا هو المستحيل .

ولكنه يحس بالحرج ..

يحس بحرج زملائه ..

وبحرجه بينهم ..

ورغم ذلك ظل فى المصنع حتى انتهاء الوردية .. وعاد إلى بيته .. واشترى فى طريقه بعض الفاكهة كما تعود .. واستقبلته دولت .. إنها دولت التى يعرفها .. دولت الساعة السابعة مساء .. حلوة طيبة ، ضاحكة وسميرة ، ونوال .. إنه ليس غريبا عن هذا البيت .. أنه بيته ..

ونام وعلى شفتيه ابتسامة .. ولكنه ما لبث أن فتح عينيه .. ماذا يفعل فى الغد .. وهذا الحرج الذى أحس به ..

ولم ينم ..

ورغم ذلك فقد ذهب إلى المصنع فى اليوم التالى .. لم يكن يستطيع أن يختار .. إنه لو بقى فى البيت فسيستدعى الطبيب..

واستقبله العمال مرحبين .. أكثر من ترحيبهم به بالأمس ..

وتركوه يدخل العنبر .. ويضع أصابعه العشر فى كل الآلات ..

ثم قال له الأسطى حنفى فجأة :

– أنت قدمت فى القرعة يا أسطى محمود والا لأ ؟..

وقال الاسطى محمود دهشا :

– قرعة إيه ؟

وقال الأسطى حنفى :

– أصل المؤسسة أجرت شقة مفروشة فى الاسكندرية لعائلات العمال .. كل عيلة تروح تقعد فيها عشرة أيام .. وبالقرعة .. اللى تقع عليه القرعة يأخذ عيلته ويروح يصيف فيها ..

وقال الأسطى محمود :

– جرى إيه يا أسطى حنفى .. أنت شايفنى بتاع الاسكندرية ولا إيه ..

وقال الأسطى حنفى :

– يا راجل ده حقك .. روح شم لك شوية هوا .. دى الأسطوات كلها بتتقاتل علشان تاخد الشقة .. والله لا أنا مقدم اسمك فى القرعة إذا ما رحمتش نفسك .. ارحم عيلتك .. خللى بناتك ياخدوا نفسهم ..

ثم تركه وصعد إلى مكتب الإدارة ليقدم اسمه فى القرعة ..

والأسطى محمود يهز كتفيه بلا مبالاة ..

وعاد الأسطى حنفى من مكاتب الإدارة قائلا :

– حايعملوا القرعة فى راحة الغدا ..

ولم يسمعه الأسطى محمود ، ولا أهتم بأن يسمعه .. وهو يسير بين الآلات متبخترا .. إنه هنا يجد نفسه .. كل نفسه .. إنه هنا ، الأسطى محمود ..

وفى ساعة تناول الغدا ، والعمال والأسطوات مجتمعون فى حوش المصنع خرج أحد الموظفين يعلن أن الأسطى محمود فاز بالقرعة .. ومن حقه أن يتسلم شقة الاسكندرية بعد خمسة أيام ..

وقبل أن يعى الأسطى محمود بما يقوله الموظف ، هلل العمال وانهالت تهانيهم عليه :

– شم لنا شوية هوا بحر يا أسطى محمود ..

– ما تنساش تقرأ لنا الفاتحة فى سيدى أبو العباس ..

– خد بالك يا أسطى محمود .. أوعى تغوط ..

والأسطى محمود ذاهل ، لا يدرى ماذا يفعل ، ولا ماذا يقول ، وعلى شفتيه ابتسامة بلهاء .. وقد هم أن يصرخ رافضا الفكرة ، ولكنه استخسر أن يرفضها .. شقة فى الاسكندرية مجانا .. والبحر .. وسيدى أبو العباس .. ده أنا طول عمرى باسمع عن الاسكندرية وعمرى ما شفتها ..

واقترب منه الأسطى حنفى قائلا :

– روح أنت بأه يا عمى علشان تبتدى توضب نفسك .. مبروك .. حا أشوفك قبل ما تسافر ..

وخرج الأسطى محمود من المصنع مذهولا وابتسامته البلهاء لا تزال على شفتيه ..

وما كاد يقول الحكاية لزوجته حتى صرخت من الفرحة .. وقفزت سميرة إلى الشباك تقول لجارتها :

– سنية إحنا مسافرين الاسكندرية .

ثم قفزت إلى الشباك القبلى وصاحت :

– درية .. احنا مسافرين الاسكندرية ..

وصاحت نوال وهى تجرى حول المائدة :

– توت .. توت .. يا بنات اسكندرية ماشيكم على البحر غيه.

وأطلت الست عزيزة من شباكها وقالت لدولت :

يا أختى تتهنوا .. بس اسمعى .. أنا عايزة منك قزازة ميه بحر ..

وأطل زوجها المعلم حسان المبيض من خلف ظهرها :

– قولى للأسطى محمود ما ينساش يجيب لنا شروة سمك..

وأخرجت خديجة رأسها من شباكها وقالت :

– دولت .. تعرفى الحلاوة اللى بتشد .. أهى ما تلاقيهاش إلا فى اسكندرية ..

ودولت تتباهى بنفسها وتمد عنقها فى اعتزاز وهى تردد :

– حاضر يا أختى .. من عنيه يا حبيبتى .. والنبى ما تيجوا معانا .

واسقط فى يد الأسطى محمود .

لم يعد هناك بعد كل هذه الزيطة مجال للتفكير .. تقرر أن يسافر فعلا ..

ولم يعلم الأسطى محمود إلى اليوم ، أن جميع اسطوات المصنع قد سحبوا اسماءهم من القرعة ، حتى تكون الشقة من نصيبه ..

ومرت الأيام الخمسة بسرعة .. لم يشعر الأسطى محمود خلالها بدقيقة واحدة من الفراغ أو الزهق .. كانت أمامه مهام كثيرة يؤديها .. اشترى حقيبة ، ثم أضطر أن يشترى حقيبة أخرى .. واشترى لنفسه قميصين وبنطلون .. واشترى لزوجته ثوبا ، ولكل من سميرة ونوال ثوبين .. وقبعة لتحمى رأسه من الشمس .. وسحب من دفتر التوفير عشرين جنيها ، ثم عاد وسحب عشرين جنيها أخرى .. وكلما أغلق بابا من أبواب المصاريف ، انفتح أمامه باب آخر .. وهو يصرخ كثيرا ، ويضحك كثيرا . ويفيض بالحيوية والنشاط ..

ودولت تصر على أن تطهو خمسة كيلو من اللحم لتأخذها معها إلى الاسكندرية ، ويصرخ الأسطى محمود :

– يا ولية انتى فاكرة اسكندرية مافيهاش لحمة ..

وقالت دولت كأنها تدافع عن أخص شئونها :

– يا خويا بيقولوا أن لحمة اسكندرية وحشة ، وما بتستويش ..

ورد الأسطى محمود صارخا :

– إذا كان أهل اسكندرية بياكلوها ، نبقى ناكلها احنا كمان..

ثم ابتسم مستطردا :

– ولا ناكل سمك ..

واقتربت سميرة من أمها وقالت لها فى دلال هامسة :

– انتى مش حاتقولى لبابا يشتريلى مايوه ..

ونظرت دولت إلى ابنتها فى دهشة صارخة ، وقالت :

– انتى يابت عايزة تلبسى مايوه !!

وردت سميرة وعيناها جريئتان :

– وماله .. كل البنات بيلبسوا مايوه .. وسنية جارتنا لبست مايوه لما راحت بورسعيد السنة اللى قبل اللى فاتت .. ورجعت متصورة بيه .. ولا عايزانى أمشى على البحر بملاية لف ..

وفكرت دولت قليلا ، ثم قالت وذكاؤها الطيب الساذج يبرق فى عينيها :

– طيب اسمعى .. أصل أحنا لو فتحنا الموضوع ده لأبوكى دلوقتى .. هايعقدها ويمكن ما نسافرش خالص .. استنى لما نوصل هناك بالسلامة .. ويبقى يحلها ربنا ..

ولوت سميرة شفتيها فى غضب ..



وجد الأسطى محمود نفسه فى الاسكندرية ..

جالسا على شاطىء كامب شيزار ومن حوله عائلته .. تحت شمسية .. وقد افترشوا بطانية فوق الرمال .. وبجوارهم حلل الطعام التى حملوها معهم .. حلة المحشى ، وحلة اللحم المحمر وصندوق به بسكويت ، وصندوق آخر به لب وسودانى اشتروه من مصر ، وبضعة ارغفة من العيش .. وخيار وعنب ..

والأسطى محمود يدير رأسه المذهول حوله .. كل شىء يراه لأول مرة .. الرمل ، والناس ، والبحر .. كل هذا البحر .. سبحانك ربى ، جلت قدرتك .. ثم يتسلل بعينيه إلى النساء والبنات اللاتى يرتدين المايوه .. لقد سبق له أن رأى صور النساء يرتدين المايوه فى المجلات ، وفى أفلام السينما القليلة التى شاهدها .. ولكن هذه هى المرة الأولى التى يراهن لحما ودما .. أعوذ بالله .. ما ينكسفوش دول .. ونظر إلى زوجته وابتسم ابتسامة صامتة .. ثم نظر إلى ابنته سميرة ، وتجهم وجهه .. والتفت إلى ابنته الصغيرة نوال وربت على ظهرها .. ثم عاد يتسلل بعينيه إلى النساء والبنات اللاتى يرتدين المايوه .. ثم تنبه إلى نفسه .. واستعاذ بالله .. وشد خيارة وأخذ يقضم فيها بأسنانه .. وعرض وجهه لهواء البحر ، وشد نفسا طويلا ، ثم بحبح حزام البنطلون من فوق بطنه ، وقال لدولت مبتسما :

- القعدة دى كانت عايزة جلابية الواحد يتبحبح فيها ..
ونظرت دولت نظرة سريعة خبيثة إلى ابنتها سميرة ، ثم قالت ترد على الأسطى محمود :
- والنبى يا خويا كان حقك تلبس مايوه زى الناس ما هم عاملين ورفع الأسطى محمود عينيه إلى زوجته وفيها نظرة قاسية وقال :
- مايوه .. هو احنا بتوع مايوهات يا دولت ..
وسكتت دولت خائفة من نظرة زوجها ..
وقالت سميرة فى جرأة :
- ليه يا بابا .. هو احنا مش زى بقيت الناس .. ما هو ..
وقاطعها الأسطى محمود ، والنظرة القاسية لا تزال فى عينيه :
- أسكتى يا بت ..
وسكتت سميرة وهى تزفر أنفاسها ..
ومر بعض عمال المصنع الشبان الذين يقضون أجازتهم فى الاسكندرية .. ووقف لهم الأسطى محمود .. والتفوا حوله يحيونه فى احترام دون أن يرفع واحد منهم عينيه إلى عائلته .. وسميرة شدت ظهرها وساوت شعرها .. ودولت فحصت الشبان فى نظرات مختلسة واحدا واحدا كأنها تنتقى من بينهم عريس ابنتها .. وابتعد العمال سريعا .. واختاروا نهاية الشاطىء مكانا لهم احتراما لعائلة الأسطى محمود .. وسميرة لوت شفتيها فى غضب .. وأمها دولت تنهدت فى حسرة .. وعاد الاسطى محمود إلى جلسته وهو يشعر بحرج

وضيق .. كأنه كشف عورته أمام زملائه ..
وهمت سميرة أن تقوم من جلستها .. فصرخ فيها الأسطى محمود صراخا خافتا :
- رايحة فين يا بت ..
وقالت سميرة :
- أتمشى شوية ..
وقال الأسطى محمود فى حزم :
- خليكى قاعدة فى حتتك ..
وقالت دولت فى مسكنة ورجاء :
- ما تسبها يا خويا تمشى رجليها شوية ...
وقال الأسطى محمود فى حزم أكبر :
- لا ...
وقالت سميرة فى سخط :
- هو أنا جاية أسكندرية علشان أتحط الحطة دى ..
وقال الأسطى محمود فى حزمه الهادىء :
- جاية تشمى الهوا .. وأهو الهوا جاى لغاية عندك ..
وألقت سميرة رأسها على كفها .. وبوزها شبرين ..
وتنهدت دولت فى يأس ..
وتحركت نوال فى جلستها .. والتفت إليها الاسطى محمود قائلا محتفظا بحزمه :
- ألعبى فى الرمل قدامنا هنا .. أوعى تبعدى عن عينينا ..
وخيم سكون حزين على العائلة ..
وانطلق خيال الأسطى محمود وراء العمال الشبان الذين

مـروا به .. وعـاد يحس بالضـيـق والحـرج .. شىء يأكل فى صدره .. كأنه كشف عورته أمـام زملائه .. وشد خيارة أخرى وأخذ يقضمها بأسنانه ..



ونام الأسطى مـحـمود على الرمل بعد الغدا وبعـد أن لفحه هواء البحر .. ثم تنبـه فجأة من نومه مذعورا كـأنه أبو جلمبو قـرصه .. وتلـفت إلى أفراد عـائلتـه .. ولم يجـد سـمـيرة فى مكانهـا .. ودولت تنظر إلى البحـر وعلى شـفـتيـها ابـتسـامة كـبـيرة .. ونظر وراء نظرة زوجـتـه .. ورأى سـمـيـرة .. فى البحر .. قدماها فى الماء .. وقد رفعت ثوبها إلى أعلى ساقيها .. كل ساقيهـا عاريتان .. عاريتان .. وانتفض من جـلسته وجرى إلى البحر كالمجنون ، وصرخ :

– بت يا سـمـيرة .. سـمـيـرة .. تعـالى هنا .. تعـالى هنا يا أقولك .

وهزت سميرة كتفيهـا بلا مبالاة ، وضربت الماء بقدمها فى دلال ، ثم خرجت إلى أبيـهـا .. وما كادت يده تصل إليـهـا حتى قبض على مـعـصمهـا فى قسوة ، وشدها وراءه بقـوة نفضت عنها دلالها واحـساسها باللامبالاة ، وارتفع فى عـينيها خوف مذعور ..

وعـاد الأسطى مـحـمـود إلى الشـمـسـيـة وهو يشـد وراءه سميرة ، وصاح فى زوجته وأنفاسه تتهدج ..

– لمى الحاجات .. ويالله بينا على البيت .. يالله ..

وذعرت العائلة كلها .. وجمعت حوائجها فى ارتباك ..

وما كاد الأسطى محمود يدخل البيت حتى استدار إلى ابنته سميرة ورفع كفه وهوى بها على صدغها ، وهو يصرخ :

– بتتعرى قدام الناس يا بت .. عايزة تفضحينى ..

ثم لم تتوقف صفعاته ..

وسميرة تصرخ ..

ونوال تصرخ ..

ودولت تتوسل :

– أبوس رجلك كفاية بأه .. البت ما عملتش حاجة .. والنبى ظالمها يا محمود ..

واستطاعت أخيرا أن تنقـذ البنت منه ، وأخذتها ودخلت بها إلى الحمام وأغلقت الباب عليهما ..

وصدر الأسطى محمود كالمنفاخ يتهدج بغضبه وثورته .. وهدأ قليلا ..

وخلع القـمـيص والبنطلون وارتدى جلـبـابه ، ورقـد فى فراشـه .. وصور زمـلائه العمـال الشبان الذيـن مروا به تملأ خياله .. لعلهم رأوا سيقـان ابنته .. عارية .. ولعلهم سيتندرون بعـد عودتهم إلـى المصنع بسيقـان بنت الأسطى مـحمـود .. وصـدره يضـيـق .. ويسـتـعـيـذ بالله مـن ضـيق صـدره .. ويستغـفره .. استغفـر الله .. استغفر الله .. ويهـدأ أكثر .. لماذا يظن هذا الظن بزمـلائه العمـال .. دول ولادى وأنا عارفـهم شـهـامة وأخـلاق .. أعقل يا أسطى مـحمـود .. ثم فيـها إيه .. ما البنات اللى لابسـة مايوهات مالية البلد .. يعنـى ماجتش إلا على بنتك سـميـرة .. تكونش ظلمـتهـا يا أسطى .. والله باينك

ظلمتها .. البت ما تقصدش حاجة .. كل البنات بتعمل كده .. بنات ناس طيبين برضه .. مالك محبكها قوى كده .. الدنيا اتغيرت يا أسطى .. و ..

ولا يستطيع أن ينام ..

إنه يحس بأنه ظلم ابنته ..

ويحس أنه مظلوم .

ولا يستطيع أن ينتهى إلى قرار ..

ولا ينام ..

ودولت بجانبه تواسيه :

– نام بأه يا أخويا ، وشيل من راسك الحكاية دى خالص .. سميرة ما عدتش تعملها تانى أبدا ..



وفى صباح اليوم التالى ، خرج الأسطى محمود من البيت مبكرا ، وذهب إلى محل قريب ، واشترى « مايوه » ..

مايوه واحد ..

ثم عاد إلى البيت ، ونادى ابنته الصغرى نوال ، وقال لها فى ضعف دون أن ينظر إلى عينيها :

– خدى ألبسى ده ..

وانطلقت الفرحة على وجه نوال ..

وهللت دولت :

– ربنا يخليك وتجيب يا أسطى ..

و،تنهدت سميرة ، وأخذت تمشط شعرها فى حركات عصبية ، كأنها تهم بأن تنزعه من فوق رأسها ..



وجلس الأسطى محمود على الشاطىء يرقب ابنته الصغرى نوال وهى تلعب أمامه مرتدية المايوه ..

وسالت دموعه على خديه..

ونظرت إليه زوجته دولت فى لهفة وقالت مذعورة :

– مالك يا أسطى محمود ..

وقال الأسطى محمود وهو يمسح دموعه بكم قميصه ..

– ولا حاجة .. افتكرت أمى ..



القط.. أصله أسد

شاطىء المعمورة .. والساعة الثانية عشرة ظهرا .. وكابين السيد نجيب عبد الله مزدحم بأصدقائه ، وقد جلست بينهم زوجته نوارة وصديقتها زيزت .. وفوق المائدة التى تتوسط شرفة الكابين عدد من زجاجات البيرة ، وأطباق الريستا لم يعصر بعد .. والجندوفلى وكثير من حبات الليمون بعضها معصور وبعضها لم يعصر بعد وكلام كثير .. وضحكات صاخبة ..

ولم يكن السيد نجيب عبد الله داخل الكابين .. كان قد شد لنفسه مقعدا من مقاعد الشاطىء ، وجلس مسترخيا خارج الكابين فى مواجهة البحر .. وابتسامة هادئة ساكنة كبقعة الزيت تسيل من تحت شاربه الصغيرة المرسوم .. ووجهه يفيض بالهناء ، وبشرته الناعمة الناصعة كقشرة البيضة تلمع تحت الشمس .. وعيناه الغامقتان ممدودتان إلى البحر فى نظرة مرتاحة كنظرة فيلسوف انتهى إلى اكتشاف غوامض الكون .. إنه إنسان سعيد .. وهو متلذذ بسعادته ، يمتصها فى بطء ويتذوق كل قطرة منها كما يمتص الطفل قطعة الحلوى .. ويحس إحساسا جياشا بكل ما حوله من جمال .. جمال البحر .. وجمال السماء .. وجمال الأفق وهو ينسدل على الماء

كستارة تخفى وجه الله .. بل إنه يحس أنه يملك كل هذا .. يملك البحر .. ويملك السماء .. ويملك الرمل .. ويملك كل الشاطىء بكل ما عليه من حياة مرحة .. ويملك أيضا سيارة نصر ١٣٠٠ ووظيفة محترمة .. وشقة كبيرة فى الدقى بالقاهرة .. وشقة أخرى بالاسكندرية .. ورصيدا فى البنك .. كم رصيدك يا نجيب .. ثلاثة آلاف جنيه وكسور .. نعمة .. حد كان طايل .. الرصيد باسم زوجته نوارة .. أحسن .. ما فيش راجل اليومين دول بيكتب حاجة باسمه .. كله باسم الستات .. والواقع أن السيارة أيضا مكتوبة باسم زوجته نوارة وشقة القاهرة وشقة الإسكندرية كله باسم نوارة .. ولكن هذا لا يغير من الأمر شيئا .. إنه يملك كل ما هو مكتوب باسم نوارة .. ويملك نوارة نفسها .. واتسعت ابتسامته وهو يتذكر أنه منذ عشر سنوات فقط لم يكن يملك شيئا سوى ثلاثة أفدنة فى البدرشين ، يملكها على المشاع مع أخوته .. وكان موظفا صغيرا فى إدارة الحسابات بمديرية الغربية ، يقيم هو ونوارة فى شقة متواضعة فى طنطا .. ولكنه ناضل .. وكافح .. وفى عشر سنوات صنع كل هذا .. فى عشر سنوات فقط .. واتسعت ابتسامته أكثر حتى كشفت شفتاه عن أسنانه ، كأنه يهنىء نفسه على ذكائه. إنه عبقرى .. وانكمشت ابتسامته تواضعا .. ربما لم يكن عبقريا .. مجرد حظ .. رجل محظوظ ..

وانطلقت من داخل الكابين ضحكة صاخبة رنانة ، كرنين أجراس معلقة فى رقبة بقرة مذعورة .. واصطدم الرنين بأذنى السيد نجيب عبد الله ، فسرت فى بدنه قشعريرة سريعة كمس الكهرباء ، ما لبثت أن هدأت ..

إنه دائما يحس بهذه القشعريرة كلما سمع ضحكة زوجته نوارة .. هذه الضحكة الصاخبة الجريئة .. لم يستطع قط أن يتعود عليها .. رغم كل هذه السنين لم يستطع أن يتعود عليها.. ربما لأنه عندما تزوج نوارة لم تكن تضحك هذه الضحكة .. كانت تضحك ، ولكن ليست هذه الضحكة .. لقد تغيرت نوارة كثيرا .. وهو أيضا تغير ..



وسبح خيال السيد نجيب عبد الله إلى الوراء خمسة عشر عاما .. وانطفأت ابتسامته .. وتهدلت جفونه فوق عينيه .. ومر به شريط سريع من ذكرياته لا يكاد يتبين فيه صورة نفسه .. لقد كان انسانا آخر .. كان شابا جادا ، متزمتا ، قاسيا فى تزمته .. وكانت كل عائلته تحسب حسابا لتزمته وقسوته .. كانوا يرهبونه ولكنه كان أيضا قاسيا على نفسه .. لم يندفع أبدا فى نزوة من نزوات الشباب .. ولم يأخذ أحد عليه انحرافا فى خلقه أو فى تصرفاته .. وكان حريصا على سمعته واحترامه .. وربما كانت الرهبة التى يشيعها حوله مردها إلى أنهم يحترمونه أكثر مما يخافونه .

وقد أحب نوارة بمجرد أن رآها عندما سكنت بجوارهم مع عائلتها فى حى شبرا .. كان حبا صامتا لم يحاول قط أن يعبر عنه ، لا بكلمة ، ولا بخطاب .. ظل يرقبها فى نظرات خاطفة .. شعرها الفاتح .. عيناها الملونتان .. جبينها الذكى .. قوامها الناضج وربما لاحظ ، أيامها كثرة خروجها من البيت .. وإطالة وقفتها فى الشرفة .. ولكن ذلك لم يؤثر على قراره .. وبمجرد

أن استعد للزواج تقدم إليها .. لم تتردد عائلتها .. ولا هى .. شاب يحمل شهادة جامعية .. وموظف محترم .. وسمعة طيبة.. كيف يترددون ..

وحملها معه إلى طنطا وهو يشعر أن كل قطعة منها قد أصبحت ملكا له .. اشتراها بعقد .. وليس لأحد حق فيها .. ليس لأحد حق فى نظرة من عينيها .. ولا فى ابتسامة من شفتيها .. ولا فى لمسة من أصابعها .. وسلط عليها كل تزمته .. وكل قسوته .. ثيابها يجب أن ترتفع حتى أعلى عنقها ، وتمتد أكمامها حتى كفيها .. لا تضعى المساحيق .. لا تطلى من الشباك .. لا تخرجى إلا ورجلى على رجلك .. ويعود إلى البيت جادا .. ويبقى فيه جادا .. ويخرج جادا .. ونوارة مستسلمة .. كان يشعر أحيانا بضيقها .. ومرة أو مرتين بكت حتى يسمح لها بزيارة أهلها فى مصر .. وكانت تثور أحيانا .. ولكنه كان يقضى على ثورتها بحزمه .. وتعود نوارة وتستسلم .. تطبخ ، وتكنس ، وتغسل .. ست بيت ممتازة .. لقد احتملته نوارة فى هذه السنوات .. احتملت كثيرا .. إنها زوجة رائعة ..

إلى أن أخطأ ..

نعم ..

هو الذى أخطأ ..

وتنهد نجيب فى حسرة وأسى وهو يتذكر خطيئته ..

كان ذلك عندما جاءت صفية ابنة خالة نوارة لتقيم معهم أياما فى طنطا .. كان قد مر عامان على زواجه ، وأنجب ابنه سمير ..

وهو لم يكن يرتاح لصفية .. إنها مطلقة .. ومهرجة .. لا تكف عن الكلام والضحك .. ليس فمها الذى يتكلم ، كل قطعة منها تتكلم وتضحك .. ولكنه ـ رغم حزمه ـ لم يستطع أن يرفض إقامتها فى بيته .. ونوارة فى حاجة لمن يسليها ويخفف عنها وحدتها وغربتها عن أهلها ..

ولكن صفية تتجرأ عليه ..

إنها تنظر فى عينيه وتصيح :

– نجيب .. ما تبوزش ..

ثم تظل تلح عليه حتى يضحك ..

وتعود على جرأتها .. وتعود أن يضحك معها .. وبدأ يحس أنه يعود إلى البيت ليجلس مع صفية لا مع نوارة .. بل بدأ وهو راقد بجانب نوارة يتذكر صفية .. ويبتسم ..

وشدته صفية يوما من مقعده ، لتعلمه الرقص .. وأحس بجسدها كله بين ذراعيه ، ملتصقا بصدره .. جسدها الذى يتكلم ويضحك .. وأحس بنفسه يبذل مجهودا كبيرا ليكتم الصهد الذى بدأ يفح من وجهه .. وليحتفظ باتزانه واحترامه .. مجهودا أكبر مما تعوده .. ربما ضعفت مقاومته لنزوات الشباب بعد أن تزوج .. ربما كانت صفية أقوى من أن تقاوم .. وهو يضمها أكثر إلى صدره ..

ونوارة فى المطبخ .. تركته لابنة خالتها .. إنها دائما تتركه لها .. كانت تثق به .. تثق فى اتزانه ، واحترامه ، وتزمته ، وقسوته على نفسه كما يقسو عليها .. مسكينة نوارة .. لم تكن تدرى أن زوجها مهما تمادى فى مثاليته ، فهو رجل ، وكل

رجل له لحظة ضعف .. وقد بدأت لحظة ضعف تقترب .. وانتزعت صفية صدرها من فوق صدره ، قائلة :

– أنت باين عليك مش حاتتعلم الرقص أبدا ..

ثم أدارت مفتاح الراديو إلى محطة أخرى ..

وتركته يلهث ..

وقد ظل يلهث بعدها أياما ..

إلى أن عاد يوما إلى البيت وقالت له نوارة فى لهجة باردة :

– مرات الباشكاتب بعـثت البنت بتاعتها النهـارده عازمانا نزورها ، أنا وصفية .. نروح ولا مانروحش ..

وقالت صفية فى دلال :

– أنا يا أختـى مش رايحة .. أنا مـا بحبش السـتات بتـوع طنطا دول .. لا بافهمهم ولا بيفهمونى ..

وقالت نوارة :

– أصلك شبعانة من الزيارات فى مصر .. إنما أنا و ..

وقاطعتها صفية :

– طيب ما تروحى انتى ..

ورفعت نوارة عينيها إلى زوجها وظلت ساكتة ..

وأدار عينيه بين صـفية ونوارة ، ثم قال كأن شخـصا آخر يتكلم :

– هى عزماكى الساعة كام ؟

وقالت نوارة :

– الساعة خمسة ..

وقال وهو لا يستطيع أن ينظر إليها :

– طيب روحى .. بس ما تتـأخريش .. وخدى سمـير والبت الخدامة معاكى ..

وظل لا يسـتطيع أن يرفع عـينيه إلى وجـه زوجتـه إلى أن خـرجت لزيارة زوجة البـاشكاتب .. والبـيت ليس فيـه إلا هو وصفية ..

وشدته صفية لتعلمـه الرقص .. وجسدها كله بين ذراعيه.. وقد سكتـت .. لم تعد تتكلم ولا تضـحك .. جسـدها وحده هو الذى يتكلم ويضحك .. والصهـد يزحف على وجهه .. ويتسلل إلى أطرافه .. لم يعد يقاوم .. لا يستطيع أن يقاوم ..

ولا يدرى كم ظل يراقـصـهـا .. ولا يدرى كـيف أصبح مجنونا.. ولكنه وجـد نفسه يشد صـفية من يدها ، ويسـحـبها إلى غـرفة النـوم .. غرفـة نومـه هو وزوجتـه .. وألقـاها على الفراش .. فراش زوجـته .. وهى تتكلم .. تتكلم كثـيرا .. تتكلم كلاما لا يستطيع أن يسمعـه ولا أن يفهمه .. وتحاول أن تبعده عنها .. الآن لا يمكن أن تبعده عنها .. مستحيل .. و ..

وكـانت لا تزال تقـاومـه .. لا يسـتطيع أن يصل إليـهـا .. وفجأة..

فتح الباب ..

ورأى زوجته أمامه ..

نوارة .. وفى عينيها نظرة مذعورة .. وسمعها تقول بصوت محشرج :

– كده يا نجيب .. كده برضه !

ثم اختفت من أمام عينيه ..

وسمع الباب الخارجى يغلق بعنف ..



وتململ السيد نجيب عبد الله وهو مستلق على مقعد الشاطىء ، وأدار رأسه ناحية الكابين يبحث بعينيه عن زوجته نوارة كأنه يريد أن يطمئن إلى أنها عادت إليه .. ورأت نوارة نظرته فابتسمت له ابتسامة كبيرة وصاحت فى مرح :

– أجيب لك كباية بيرة يا نجيب .. دى ساقعة زى التلج .

وأجاب نجيب وهو يبتسم ابتسامة فاترة :

– لا .. مرسى ..

ثم أدار عينيه ينظر إلى البحر .. وعاد شريط الذكريات يمر فى خياله .. إنه لا يستطيع أن ينسى أبدا هذا اليوم .. لقد تسمر لحظتها فى مكانه .. مذهولا كالأبله .. وسمع صفية تقول :

– أنا نازلة مصر ..

ثم رآها تتحرك أمامه .. وتجمع ثيابها ، وتحمل حقيبتها ، وتخرج .. وهو لا يزال واقفا مذهولا كالأبله .. ثم ألقى بنفسه فجأة على مقعد .. وأخذ يبكى .. لم يكن يدرى لماذا يبكى .. كان عقله لا يزال مشلولا عن رؤية الصورة التى تحيط به كاملة ولكن البكاء أراحه .. وبدأ يقدر المصيبة .. أنه لم يفقد زوجته فحسب ، ولكنه فقد احترامه أمام عائلته وأمام الناس .. فقد الشخصية التى قضى عمره ينميها ويثبت وجودها .. شخصية الشاب المتزمت الذى لا يخطىء ولا يسمح لأحد بأن يخطىء .. ولابد أن نوارة بمجرد وصولها إلى مصر ستحكى كل شىء لأهلها .. وأهلها سيحكون لأهله .. وأهلها وأهله سيحكون الحكاية لكل الناس .. وإذا استطاع بعد كل هذا أن يسترد

زوجته فكيف يسترد سمعته .. كيف يسترد احترامه ..

وقضى ليلة مسهدا ، تائها ، كلما استقر على رأى انطلقت من تحته نار تشويه ..

وفى اليوم التالى أخذ أجازة ، وسافر إلى مصر .. إنه على الأقل يجب أن يكون شجاعا ويواجه الأحداث ..

وذهب مباشرة إلى بيت نوارة ، وهو يخبط الأرض بقدميه فى تصميم وعناد .. مهما حدث .. يجب أن يواجه الموقف ..

ولدهشته ، استقبله أهل نوارة بترحاب كبير .. وأخذته حماته بين ذراعيها وقبلته وقالت :

– والنبى يا ابنى ما كان حقك تيجى ولا تتعب نفسك .. أنا كنت حارجعها لك لغاية عندك .. غصب عنها .. أنا عارفة بنتى .. ملدلعة ومايصة .. وانت كمان دلعتها أكتر وأكتر ..

إنهم لا يعلمون شيئا ..

وواجه نوارة وهى جالسة وحدها فى غرفتها ، ورفعت إليه عينين حازمتين وقالت فى هدوء :

– اسمع يا نجيب .. انت تطلقنى حالا .. واللى يسألك قول له أننا ما توفقناش مع بعض .. أنا مش عايزة فضايح ..

وأطلت الدموع من عينيه وقال فى ذلة :

– أنا غلطت غلطة كبيرة .. غلطت يا نوارة .. سامحينى .. انتى عارفة أنى عمرى ما غلطت قبل كده ، ولا حا أغلط بعد كده .. و ..

وظل يتوسل .. ركع تحت قدميها .. قبل يديها ..

ولكنها تصر .. لن تعود إليه .. تريد الطلاق .

ومضت الشهور وهو لا يزال يتوسل .. ويتذلل .. يسافر إلى طنطا .. ويعود كل يومين أو ثلاثة ليتوسل ويتذلل ..

وأمه تصرخ فيه :

– يا ابنى مافى ستين داهية .. هى بتدلع على إيه .. ده ميت واحدة تتمناك .

إن أمه لا تعلم .. لا تعلم خطيئته ..

وكلما سمع أفراد عائلته يهاجمون نوارة ، وسمع أفراد عائلتها يلومونها أحس بخطيئته .. وأحس أكثر بمدى احتمال نوارة فى سبيل أن تحفظ له مكانته واحترامه .. فيتوسل إليها أكثر .. ويتذلل أكثر بل إن نوارة تمادت فى محاولة التستر عليه إلى حد أنها لم تقاطع ابنة خالتها صفية .. ظلت محتفظة بصداقتها حتى اليوم .. وتسمح لها بزيارتها حتى لا تترك مجالا للتساؤل .. ولأنها أيضا تؤمن بأن صفية كانت ضحية فى المشهد الذى رأته بعينيها .. لقد رأتها تقاومه .. تحاول أن تبعده عنها .. هو الذى كان يحاول أن يعتدى عليها .. هو الوحش .. هو الخائن .. هو المجرم .. وقد حاول كثيرا أن يقنع نوارة بأن صفية كانت تغريه بنفسها .. وأنها هى التى حرضته ، وأثارته .. ولكن نوارة لا تصدق .. صفية مظلومة .. كل الستات مظاليم .. وكل الرجال عينهم فارغة ..

وأخيرا عادت نوارة إليه ..

سافرت معه إلى طنطا ..

ولكنها لم تنس ..

لم تنس خطيئته ..

إلى اليوم لم تنسها ..

وقد رفضت أن يقربها شهورا طويلة .. ثلاثة شهور .. أربعة .. وأصبحت تستقل برأيها .. وبين كل يوم وآخر تسافر إلى مصر .. وتغيب أياما .. وتعود دون أن تنسى .. وهو لا يستطيع أن يكون حازما كما كان .. إنه يشعر دائما بخطيئته .. وهى تشعره بها فى كل مناسبة .. وخطيئته تذله أمامها ..

إلى أن عادت يوما من مصر وقالت له أنها قابلت السيد عبد المجيد المغربى رئيس مجلس إدارة شركة النهضة ، وابن عم صديقتها خيرية وأنه وعدها بأن يوظفه فى الشركة .. وألحت عليه أن يستقيل من مديرية الغربية ويقبل الوظيفة الجديدة لينتقلا إلى الإقامة فى مصر .. وساعتها يا نجيب لا حاسافر ولا حاجة .. حا أفضل معاك على طول .

وقد تردد فى الاستقالة ..

ولكنه أخيرا خضع .. استقال .. ويوم قدم استقالته .. صفحت عنه نوارة ليلتها ..

وانتقلا إلى الاقامة فى القاهرة ..

وظيفة أكبر ..

ومرتب أكبر ..

ونوارة أثبتت عبقريتها فى التدبير .. الواقع أنه كان يشل ذكاءها وقدرتها بتزمته .. وتفكيره الرجعى .. لقد استطاعت أن تؤثث شقة صغيرة أنيقة فى شارع الفلكى .. وبعد عامين انتقلا إلى شقتهما الكبيرة فى الدقى .. والأهم من ذلك أنها أحاطته بأصدقاء وصديقات من ذوى المكانة .. إنها سيدة

اجتماعية ممتازة .. تستطيع أن تختار الأصدقاء وتحتفظ بهم .. إن من أصدقائه الآن رؤساء مجالس إدارة .. ومديرى شركات.. ووكلاء وزارات .. وكلهم يقدرونه ويحترمونه ويخدمونه .. لقد تضاعف مرتبه أكثر من مرة .. وبسرعة .. وتضاعف مركزه أيضا .. ثم هذه الصفقات التجارية الصغيرة التى تهوى نوارة المجازفة فيها .. إنها كلها صفقات رابحة ..

وهز السيد نجيب عبد الله رأسه كأنه يستهين بخاطر مر برأسه ، وتدلت ابتسامة على جانب شفتيه .. إن بعض الناس يلومون زوجته لأنها أحيانا تغالى فى جرأتها على الرجال .. وهو قد سمع همسات الناس أكثر من مرة .. ولكن الناس لا تعلم .. لا تعلم خطيئته .. فمنذ يوم الخطيئة وقد تكونت فى نفس نوارة عقدة .. عقدة نفسية .. عقدة تصور لها أنها امرأة ليست مرغوبة من الرجال .. هذه العقدة هى التى تدفعها لتقبل جرأة الرجال عليها ، وإلى الجرأة على الرجال .. هذه حقيقة .. علم .. علم نفس .. وهو لا شك يحاول أن يعالج زوجته من عقدتها .. ولكنه يعالجها برفق .. فعلم النفس يتطلب الرفق فى العلاج .. خصوصا أنه كلما حاول أن يضغط عليها تذكرت خطيئته ، وانطلقت تصرخ كالمجنونة .. إنها لا تستطيع أن تنسى خطيئته .. وعليه أن يحتمل عذاب الخطيئة .. ولكنه واثق.. واثق جدا .. أن جرأة زوجته جرأة بريئة .. لا شىء أكثر من هذه التصرفات الظاهرة ..

وعاد السيد نجيب عبد الله يهز رأسه .. إنها زوجة ممتازة .. سيدة بيت ممتازة .. وسيدة مجتمع ممتازة وعبقرية فى التدبير

لا يعلى عليها .. لقد اشترت السيارة النصر أخيرا دون أن تسحب مليما واحدا من البنك .. باعت سوارها بخمسمائة جنيه.. مع أنها اشترته بخمسين واقترضت مائتين .. وكسبت فى صفقة بيع مائة جنيه .. و ..

وتردد السيد نجيب عبد الله قليلا وهو يحسب كيف دبرت زوجته ثمن السيارة ، ثم لم يكمل الحسبة .. وألقى عينيه إلى البحر .. وعادت الابتسامة هادئة ساكنة كبقية الزيت تسيل من تحت شاربه الصغير .. وبشرته الناعمة الناصعة كقشرة البيضة تلمع فى الشمس ..



وأطلقت نوارة ضحكة أخرى من ضحكاتها الصاخبة ، ثم قامت من جلستها وشدت محمود يسرى نائب مدير شركة المنسوجات ، من يده ، وهى تقول فى دلال :

– قوم اتمشى معايا شوية .. وانطلقت عيون الأصدقاء ، تحيط بها ، وفى كل عين غمزة ، وقال السيد شاكر عبد الجواد عضو مجلس إدارة شركة المعادن :

– مادحنا قاعدين مع بعض ..

وردت نوارة وهى تتمايل كأنها تكاد تقع من فوق كعب حذائها :

– لأ .. كفاية عليكم كده ..

وقال الاستاذ مدحت فواز المحامى :

– نقوم كلنا نتمشى ..

وقالت نوارة وعيناها جريئتان وابتسامتها تملأ فمها :

– لا .. أنا ما أحبش أمشى فى زحمة .. خليكم أنتم هنا ..

وقفزت نوارة خارج الكابين . وقفز معها خمسة وثلاثون عاما من عمرها مزدحمة فى بنطلونها الضيق .. واقتربت من زوجها السيد نجيب عبد الله ، وقالت فى حنان خفف من حدة دلالها ، ويدها تمسح على رأسه كأنها تربت على رأس قط أليف :

– نجيب .. أنا حاتمشى لغاية كابين درية .. أسلم عليها واقعد معاها شوية ، أحسن بقالى كتير ما شفتهاش ..

ورفع إليها نجيب عينين سعيدتين ، وقال :

– بس ما تتأخريش ..

قالت وهى تنظر إليه ولمعة خافتة من الدهشة تنطلق من نظرتها :

– لا .. مش حتأخر ..

وقال نجيب كأنه يتمهلها ليتزود منها بنظرة أطول :

– احنا حانتغدى هنا ولا فى البيت ..

وقالت نوارة فى صوت هادىء حنون :

– هنا ..

والدهشة الخافتة لا تزال فى عينيها .. إنها ، وبعد كل هذه السنين ، لا تزال الدهشة تراودها كلما أحست باستسلام زوجها لها كل هذه الاستسلام .. كأنها لا تصدق .. كأنها تحلم.. كأنها فى كل يوم ترى فى نجيب الشخص الآخر .. الشخص الذى لم تتزوجه .. إن الشخص الذى تزوجته منذ خمسة عشر عاما كان شابا متزمتا عنيفا ، قاسيا ، غيورا ..

يغار عليها من نظرة عابرة .. من لفحة هواء تطير ثوبها وتكشف عن قطعة من لحمها .. وقد تزوجته وهى تعرف عنه كل هذا .. ولكنه أعجبها .. أعجبها شبابه العنيف .. وكان خير من تقدم لها .. وكانت تريد أن تتزوج وتنتهى حتى تتخلص من آخر قيد يحد من انطلاقها .. وكانت واثقة من ذكائها .. واثقة أنها تستطيع أن تلف حول عناده وتفتت تزمته .. ولكن العناد الغبى يكون أحيانا أقوى من الذكاء وقد غلبها بعناده .. ضربها مرة لأنها أطلت من الشباك وهى بقميص النوم .. وأغلق عليها باب البيت بالمفتاح ثلاثة أيام لأنها وقفت تحادث بائع العيش .. وأصبحت تعيش معه وأنفاسها تضيق .. بلا أمل .. بلا أحلام .. وهى التى عاشت طموحا متفتحة للحياة الواسعة .. تريد كل شىء .. قضى عليها بأن تسجن أنوثتها .. جمالها .. ذكاءها .. تسجن كل كيانها فى شقة ضيقة داخل حارة من حوارى طنطا .. ومرتب سبعة عشر جنيها .. بعد أربع سنوات قد يصل إلى عشرين .. وبعد عشر سنوات قد يصل إلى أربعين .. وقد تموت ومرتب زوجها خمسون .. ليست هناك نافذة واحدة تطل على الحياة الواسعة .. وقد فكرت فى الطلاق.. وكان من السهل عليها أن تطلق .. إنها تعرف ألف وسيلة تستطيع بها المرأة أن تحصل على الطلاق عندما تريده.. ولكنها ترددت .. لا تدرى لماذا .. هل كانت تحبه .. تحب الشخص الآخر المتزمت العنيف القاسى .. لا تدرى .. ولكنها ترددت فى أن تسعى إلى الطلاق .. إلى أن قالت لها صفية ابنة خالتها :

– ما تبقيش مجنونة .. ولا تطلقى ولا حاجة .. بس ركك تمسكى له غلطة .. وبعد كده تعملى فيه اللى أنت عايزاه ..

وصاحت يومها :

– غلطة .. ده عمره ما يغلط .. ده شيخ من غير دقن .. ولى من أولياء الله بس ناقصه العمة الخضرا ..

وقالت صفية الخبيرة المجربة :

– ما فيش راجل ما بيغلطش .. صدقينى ..

واتفقا يومها على الخطة .. ستزورها صفية فى طنطا .. وتغازل نجيب وتشجعه عليها .. وتتعمد نوارة أن تتركه لها .. وتخلى لها الجو .. ثم .. بعد أن يقع نجيب ، وفى اللحظة المناسبة ، تضبطه نوارة ..

وتمنت نوارة يومها أن تفشل هذه الخطة .. لا تدرى لماذا .. إنها تريد أن تتحكم فى زوجها ، وأن تنطلق حرة لتشق لنفسها طريقا فى الحياة الواسعة .. وهى مقتنعة أن هذه الخطة هى الحل الوحيد .. ورغم ذلك تتمنى أن تفشل ..

ولم تفشل الخطة ..

سار كل شىء كما تصورته صفية ..

ونوارة ترى بعينيها زوجها وهو يضعف .. ويضعف .. يكاد يذوب فى ضعفه ..

إلى أن كان اليوم الأخير من الخطة .

وكانت نوارة متأكدة من نجاحها إلى حد أنها عندما خرجت من البيت بحجة زيارة زوجة الباشكاتب . ذهبت إلى محطة السكة الحديد واشترت تذكرة إلى مصر..

وأصبحت هى سيدة الموقف ..

أصبح نجيب قطا أليفا مستسلما ..

وأطلقت أنوثتها وذكاءها لتبنى حياتها الجديدة الواسعة .. وقد نجحت .. صنعت كل هذا .. صنعت من زوجها موظفا كبيرا .. وصنعت شقة القاهرة .. وشقة الاسكندرية .. والسيارة النصر ١٣٠٠ .. ورصيد البنك .. و .. ولكنها أحيانا كثيرة تحن إلى الزوج القديم .. الزوج المتزمت العنيف القاسى.. وأحيانا كثيرة تجلس فى فراشها ، ونجيب نائم بجانبها مستسلما كالقط الأليف .. وتبكى ..

●●●

وسارت نوارة على الشاطىء بجانب محمود يسرى .. وعمرها المثير ، عمر الخامسة والثلاثين ، مزدحم فى بنطلونها الضيق .. وشعرها الفاتح يطير فى الهواء كشراع أفلت من حباله .. ونظرات عينيها تصرخ فى وجوه الناس صرخات ضاحكة جريئة ..

ومد محمود يده يحاول أن يمسك بيدها ..

وسحبت يدها بعيدا بسرعة ، قائلة :

– حاسب لا يكون نجيب شايفنا ..

وقال محمود وبين أسنانه ابتسامة مستهترة :

– ولا شايفنا ولا حاجة ..

واحتدت نظرات نوارة ، وقالت فى لهجة جادة كأنها تدافع عن زوجها :

– لا .. شايفنا .. ده عمره ما يشيل عينه عنى ..

ثم تنبهت إلى حدتها ، فضحكت واستطردت قائلة :

– ثم أنا زعلانة منك .. فين الخاتم اللى قلت لك عليه ..

وقال محمود وهو ينظر إليها فى اشتهاء :

– عنيه .. بس اصبرى لما ننزل مصر ..

واختفيا خلف صف الكبائن ..



وأدار السيد نجيب عبد الله رأسه ناحية الكابين ، وقدر أن من واجبه أن يقوم ويجلس مع أصدقائه ، بعد أن تركتهم زوجته ..

واتسعت ابتسامته من تحت شاربه المرسوم ، وقام إلى الكابين .. واستقبله الأصدقاء بابتسامات باردة لا تخلو من استهانة .. وجلس بجانب السيد شاكر عبد الجواد وتنحنح ، ثم رسم على وجهه خطوطا وقورة جادة ، وقال فى صوت رزين:

– تعرف يا شاكر بيه .. أنا من رأيى أننا مش ممكن حانزود الانتاج إلا إذا غيرنا نظام الإدارة تغيير جذرى .. أنا بافكر أكتب تقرير لسيادتك فى الموضوع ده ..

وقال السيد شاكر عبد الجواد وهو يخبط على ساقيه العاريتين بكفيه ويهم بالقيام :

– كده .. طيب شد حيلك .. عن أذنك .. حاتمشى شوية ..

وصاح وراءه الأستاذ مدحت فواز :

– خدنى معاك يا شاكر بيه ..

وقال السيد عبد العظيم محجوب وهو يقوم ويحمل كرشه معه :

– ما تسيبونيش لوحدى يا جماعة ..

وخرج كل من فى الكابين من أصدقاء ..

وابتسامة السيد نجيب عبد الله لم تفتر ، ولم تهتز .. ووجهه يفيض بالبشر .. والسعادة تطل من عينيه ..

وزيزت صديقة نوارة ، جالسة أمامه .. وحدها معه فى الكابين .. وتبتسم له .. ابتسامة دسمة مليئة بالأنوثة .. وعيناها لعوبتان .. وقالت وصوتها يترنح بين شفتيها :

– مالك قاعد بعيد كده يا نجيب .. ما تيجى تقعد جنبى هنا..

وتجهم وجه نجيب ..

لا ...

مستحيل ..

أنه لن يكرر خطيئته ..

وانتفض واقفا كمن لسعته النار ، وقال وهو يفح أنفاسه :

– أنا نازل البحر ..



النساء لهن أسنان بيضاء

عنبر الجراحة فى المستشفى الكبير ..

وتحسس عبد العاطى ذراعه المقطوعة ، وابتسم ابتسامة حزينة كأنه تذكر صديقا عزيزا توفى إلى رحمة الله ، ثم تمطى على سريره وفرد ساقيه حتى آخرهما كأنه يريد أن يتأكد أنهما لا تزالان فى مكانهما .. لم تقطع له ساق كما قطعت ذراعه .. وعاد يلتفت برأسه ناحية زميله الراقد على السرير المجاور ، وفى عينيه نفس النظرة المتطلعة الدهشة ، كأنه يرى فى حسنين شيئا عجيبا مثيرا ..

إن حسنين يدخن سيجارا أسود طويلا فخما ..

منذ ربع ساعة وهو يدخن هذا السيجار ..

وعبد العاطى لم ير أبدا زميلا يدخن سيجارا .. بلمونت على الأكثر .. وكان يعتقد دائما أن تدخين السيجار هو من اختصاص رئيس مجلس الإدارة وحده .. وأن كل من يعين رئيسا لمجلس الإدارة يمنح حق تدخين السيجار ، كما يمنح سيارة ، وسكرتيرة ، وغرفة مكيفة بالهواء .. بل كان يخيل إليه أن هذا السيجار له دخل فى عمل رئيس مجلس الإدارة .. كمدخنة القطار .. فكما أن القطار لا يستطيع أن يسير بلا



مدخنة ، كذلك رئيس مجلس الإدارة لا يستطيع أن يعمل بلا سيجار ..

وكثيرا ما كان يقف على باب المصنع يرقب رئيس مجلس الإدارة وهو يركب سيارته وفى فمه هذا السيجار الكبير .. وكان يخيل إليه أن السيجار هو الذى يحمل رئيس مجلس الإدارة ، وليس رئيس مجلس الإدارة هوالذى يحمل السيجار ، كان يخيل إليه أن السيجار يجر وراءه رئيس مجلس الإدارة كالقاطرة تنفث دخانها وهى تجر وراءها القطار .. وربما كان فى هذا السيجار آلة الكترونية ، كالعقل الالكترونى ، هى التى تفكر لرؤساء مجالس الإدارة وتصدر لهم أوامرهم .. من يدرى ..

وكان يضحك من نفسه لهذه التخيلات .. إن السيجار ليس أكثر من سيجارة كبيرة .. ورغم هذا فإن موضوع السيجار شغله سنوات كثيرة من عمره .. وهو يذكر أنه حضر يوما اجتماعا كبيرا للعمال دعا إليه رئيس مجلس الإدارة .. ولم يستطع يومها أن يفهم كلمة واحدة مما قاله رئيس المجلس .. كان كل انتباهه موجها إلى السيجار الذى يحمله فى يده .. وكان يتتبع لفائفه وهى تحترق فى بطء كأنه يتتبع تجربة علمية دقيقة .. وكان فعلا يجرى بينه وبين نفسه تجربة علمية.. كان يريد أن يعرف : هل لو انتهى السيجار وانطفأ ، يستطيع رئيس مجلس الإدارة أن يتكلم كما يتكلم الآن ، أم أنه سيتوقف عن الكلام بمجرد توقف السيجار عن الاشتعال .. ولم يستطع يومها أن يخرج من تجربته بشىء ، فقد انتهى

الاجتماع قبل أن ينتهى السيجار .. ربما كان رئيس مجلس الإدارة قد اختار طول السيجار على قدر طول الاجتماع ..

وظل عبد العاطى طول حياته يتمنى أن يدخن سيجارا.. لقد دخن كل شىء .. دخن الجوزة ، والشيشة ، والبلمونت ، وكليوباترا .. وكايرو ، والونجز ، بل إن أحد زملائه العمال كان يعمل فى الكويت ، وعندما عاد أعطاه علبة مالبرو أمريكانى ، دخنها .. ولكنه لم يدخن أبدا سيجارا ..

وقد كان دائما يحس أن نوع ما يدخنه يحدد مستواه الاجتماعى .. إن التدخين أحد المظاهر التى تحدد المستوى الاجتماعى كالملابس والأحذية .. هناك مستوى الجوزة ، ومستوى الشيشة ، ومستوى الكايرو ، ومستوى البايب .. والذين يدخنون صنفا واحدا يحسون برابطة بينهم تجعل منهم شبه طبقة ، كطبقة الموظفين ، وطبقة العمال .. وقد كان عبد العاطى عندما يدخن الشيشة يحس أنه فى مستوى عبد العظيم أفندى جمعة الموظف المحال على المعاش الذى يسكن العمارة التى تطل على الشارع العمومى .. وعندما يدخن البلمونت يحس أنه فى مستوى الاستاذ فهمى شاكر مدير الحسابات بالمصنع ، لأنه أيضا يدخن البلمونت ، بل يحس أنه يستطيع أن يفكر مثله وأن يتكلم مثله .. وعندما يدخن الوينجز يحس أنه فى مستوى برهومة صبى البوفيه .. أما عندما دخن السجاير المالبرو فقد أحس أنه فى مستوى جيمس بوند ..

وكان دائما يريد أن يدخن السيجار حتى يصبح فى مستوى رئيس مجلس الإدارة ، لعله يستطيع أن يفكر مثله أو

على الأقل يستطيع أن يفهمه .. وقد حاول فعلا أن يشترى سيجارا ، ولكن قيل له أن ثمن السيجار الواحد جنيه كامل .. يا خبر !.. أن رئيس مجلس الإدارة يحرق فى اليوم الواحد خمسة جنيهات .. ربما عشرة .. وربما يتقاضى من الشركة بدل سيجار ، باعتبار أن السيجار من عدة الشغل .. ولم يحاول عبد العاطى أيامها أن يتأكد من ثمن السيجار .. اكتفى باليأس وانطوى على أحلامه ..

ولكن ها هو زميله حسنين يدخن سيجارا .. أطول من السيجار الذى يدخنه رئيس مجلس الإدارة ، ويطلق منه نفس الدخان العنبرى الرائحة .. وقد قال له حسنين أن سيدات جمعية الصحة والعافية ، قد طفن بالمرضى ووزعن عليهم هدايا أرسلتها لهم السفارات الأجنبية وكان نصيبه من هذه الهدايا ، هذا السيجار .. أما عبد العاطى فقد كان ساعتها فى غرفة الغيار ، يغير أربطة ذراعه المقطوعة ، فلم يلتق بسيدات الجمعية ، ولم ينل شيئا من هدايا السفارات .. ولكن ، معلهش .. إن سيدات الجمعية سيأتين ليوزعن الهدايا مرة أخرى .. لقد أكد له مصطفى التومرجى أنهن سيأتين بعد غد .. يعنى يوم الاثنين .. أصبر يا عبد العاطى .. كلها يوم وتنول المرام .. تنال سيجارا .. ربما اثنين .. إن الذراع المقطوعة تساوى صندوقا كاملا من السيجار ...

والتفت حسنين إلى عبد العاطى وقال له :

– تاخد لك نفس :

وأجاب عبد العاطى مبتسما وهو يهز رأسه بالنفى :

– متشكرين .. عشت ..

إنه لا يريد نفسا .. يريد سيجارا كاملا .. إن المتعة فى أن يحس أنه يملك سيجارا ، لا فى أن يتذوق نفسا ..

وظل يبحلق فى حسنين وهو يدخن السيجار ، وقد خيل إليه أن وجه زميله قد اكتنز وتورد ، وشفتيه انقلبتا فى تعال ، تماما كرئيس مجلس الإدارة .

وعاد حسنين يلح :

– خدلك نفس طاوعنى .. دى حاجة رايقة قوى ..

وأجاب عبد العاطى ضاحكا :

– لا متشكرين ..

ثم استطرد قائلا :

– تعرف يا حسنين أنت ناقصك إيه ؟.. ناقصك المرسيدس.. وتبقى رئيس مجلس إدارة أد الدنيا ..

وأطلق ضحكة كبيرة ، شاركه فيها حسنين ، ثم اعتدل فى رقدته ورفع عينيه إلى سقف العنبر ، وقد ذابت ضحكته فى ابتسامة حلوة سعيدة .. إنه لن يدخل السيجار داخل المستشفى.. سيحتفظ به إلى أن يشفى ويخرج ، ويقابل سعاد.. حبيبته سعاد .. لقد كان يشترى علبة سجاير بلمونت كلما قابل سعاد .. كان كلما جاء موعد اللقاء يذهب إلى الحلاق ، ويكوى القميص والبنطلون ، ويمسح الحذاء ، ويشترى البلمونت .. وكان يلمح دائما فى عينى سعاد اعتزازها بالعلبة البلمونت .. كانت البلمونت تصوره أمامها إنسانا مثقفا راقيا .. ترى ماذا يرى فى عينيها عندما يذهب إليها وفى فمه سيجار .. وتزداد

اعتزازا .. تفرح به .. تحس أنه ارتقى إلى مستوى الوجهاء .. ولعل السيجار ينسيها ذراعه المقطوعة ..

ووضع أصبعه فى جانب فمه ، مقلدا وضع السيجار وحرك بقية شفتيه يحاول أن يتكلم فى تعال والسيجار فى فمه .

وضحكت عيناه وهو يتخيل وجه سعاد ..

نام وأصبعه لا تزال فى جانب فمه ..



مقر جمعية الصحة والعافية ..

والتفت سيدات الجمعية حول الطرود التى تبرعت بها الهيئات الأجنبية لتوزيعها على المرضى .. وقد امتدت أيديهن فى عصبية ولهفة تفتح الصناديق المغلقة ، وقد انكشفت شفاههن عن أسنانهن البيضاء اللامعة ، وانطلق من عيونهن بريق نشط ينعكس على الأسنان البيضاء فتبدو أكثر بياضا.. وكلام كثير أشبه بالصراخ .. ناولينى المقص يا تحية .. زيحى الصندوق ده .. يا خديجة هانم .. يا ستات كل واحدة فيكم تمسك كشف تقيد فيه اللى تلقاه .. كل صنف يتحط على جنب.. الصابون مع الصابون ، والشيكولاتة مع الشيكولاتة .. و ..

ومدت سميرة هانم كلتا يديها فى الطرد الذى فتحته فخرجتا وبينهما صندوق سيجار .. واتسعت ابتسامتها .. وازدادت أسنانها البيضاء لمعانا .. وقرأت اسم الماركة المكتوبة على صندوق السيجار .. « روميو وجولييت » .. أحسن صنف سيجار فى العالم .. ووضعت الصندوق بجانبها فى رفق كأنها تخاف عليه من أن يخدش .. ومدت يدها داخل الطرد وأخرجت

صندوق سيجار آخر .. وثالثا .. ورابعا .. أربعة صناديق سيجار « روميو وجولييت » .. ثروة .. كنز .. وقلبها يخفق من الفرحة .. وانتظرت قليلا حتى هدأت فرحة قلبها .. وفكرت .. ثم رفعت رأسها والتفتت إلى رئيسة الجمعية وقالت وابتسامتها مفروشة فوق شفتيها :

– حانعمل إيه بالسيجار ده يا مرفت هانم ؟

وقالت مرفت :

– حانوزعه طبعا .. قيديه فى الكشف اللى قدامك ..

وقالت سميرة :

– نوزعه ازاى بأه .. هو احنا بنوزع على ولاد بشوات ولا بهوات ؟.. احنا بنوزع على القاعدة الشعبية ، بتوع الدرجة التالتة .. ودول لا يفهموا فى السيجار ، ولا يحبوه ..

وقالت سنية هانم :

– أصل اللى بيبعتوا الحاجات دى ما يعرفوش باعتينها لمين.. فاكرين أنهم بيبعتوها لخواجات زيهم .

وانطلقت خديجة هانم قائلة :

– والنبى لك حق يا سميرة .. ده حتى الدور اللى فات لما رحنا بالسيجار ما حدش من العيانين رضى ياخدوا أبدا .. كلهم كانوا عايزين بلمونت ..

وقالت مرفت هانم وهى تنظر فى وجوه سيدات الجمعية نظرات شك وريبة :

– يعنى قصدكم إيه ؟

وقالت سميرة :

– بسيطة .. نبيع السيجار ، ونشترى بتمنه بلمونت .. ده صندوق السيجار يجيب ميت عبلة بلمونت .. أبرك .. وتكفى الناس كلها ..

وقالت سنية هانم :

– طيب والصابون الياردلى راخر .. الحتة منه تجيب عشر حتت نابلس ، ولا فنيك ..

وقالت سميرة هانم فى غيظ :

– ما تخلينا فى السيجار بس ، أهو برضه الصابون بيفهموه .

وردت سنية هانم فى تحد :

– لا .. ما هى دى زى دى ..

وقالت خديجة هانم :

– والشيكولاتة الكادبورى .. مش لو بعناها واشترينا بتمنها شيكولاتة إيكا مش تبقى أبرك ؟

وقالت نوال :

– والنبى الفكرة معقولة يا طنط ..

وقالت أمينة هانم :

– وبالشكل ده نقدر نكفى كل العيانين .. الدور اللى فات يدوبك خلصنا عنبر واحد وكانت الهدايا خلصت .. ما قدرناش نلف على بقية العنابر ..

وعادت سميرة هانم تقول لرئيسة الجمعية :

– إيه رأيك يا مرفت هانم ؟

ونظرت مرفت هانم فى وجوه عضوات الجمعية نظرات شك وريبة ، ثم تنهدت كأنها تستغفر الله وقالت :

– هى الفكرة معقولة .. بس حنبيع الحاجات دى ازاى .. ومين اللى حايحدد تمنها ؟!

وقالت سميرة :

– البيع سهل .. والتمن معروف .. مدحت جوزى لما كان فى سويسرا الشهر اللى فات اشترى صندوق السيجار بخمسة دولار .. يعنى حوالى كده تلاتة جنيه ..

وقالت مرفت :

– يا شيخة حرام عليكى ..

وقالت سميرة :

– والنبى زى ما بأقولك كده يا مرفت ..

وعدلت عزيزة هانم نظارتها فوق عينيها وقالت فى هدوء متزن :

– يا ستات اتكلموا بالمعقول .. الحاجات دى كلها جاية من بره .. واللى حايشتريها هم الناس اللى معاهم فلوس .. يبقى ما دام حانبيعها ما نبيعاش بتمنها ، إنما نبيعها على أساس مساعدة الجمعية فى خدمة المرضى .. يعنى نجمع بالحاجات دى تبرعات .. الحاجة اللى تمنها قرش نبيعها بعشرة .. ولا نعمل عليها مزاد خيرى ..

وقاطعتها سميرة بحدة :

– لا .. ده إحنا دخلنا فى موضوع تانى خالص ..

وقالت خديجة :

– أولا ما تقدريش تعملى مزاد ولا تجمعى تبرعات إلا باذن من وزارة الشئون .. وعلى بال ما تجيبى الاذن تكون الحاجة خسرت وعطنت ..

وقالت سميرة :

– ويكون السيجار نشف .. وما تقدريش تبيعيه بتعريفة ..

ورئيسة الجمعية تدير عينيها بين العضوات فى حيرة وتردد ، ثم قالت فى حزم :

– إحنا حانبيع الحاجات دى .. بس بثمن معقول .. معقول جدا .

وقالت سميرة فى فرحة :

– أنا مستعدة أشترى السيجار دلوقت حالا .. أربع صناديق ، بخمسة جنيه الصندوق .. يبقوا عشرين جنيه ..

وفتحت سميرة حقيبتها لتخرج العشرين جنيها ..

وردت رئيسة الجمعية فى لهجة باترة :

– عشرة جنيه الصندوق ..

وقالت سميرة :

– والنبى حرام عليكى يا مرفت .. ده الصندوق بخمسة دولار.

وقالت مرفت :

– كلمة واحدة .

ثم ابتسمت ابتسامة خبيثة ، واستطردت :

– أنا عارفة انتى عايزة السيجار لمين ؟

وانطلقت العضوات يضحكن ..

وقالت سميرة فى عصبية :

– إذا كان بعشرة ما أقدرش اشترى إلا صندوقين .. وآخد صندوق لغاية بكره أشوف حد يشتريهم ..

وقالت رئيسة الجمعية :

– أكتبى بيهم وصل ..

وقالت سنية هانم :

– وأنا آخد الصابون الياردلى .

وقالت خديجة :

– وأنا آخد الشيكولاتة الكادبورى .

و ......

●●●

وتركت سميرة عضوات الجمعية وسط صراخهن ، وتسللت خارجة تحمل صناديق السيجار ، وابتسامتها تبرق فوق أسنانها البيضاء ، وقلبها يخفق من الفرحة .. وركبت سيارتها الأوبل ، وعادت إلى بيتها .. وبسرعة أخفت صناديق السيجار فى دولابها وأغلقت عليها بالمفتاح ، ثم ألقت بجسدها فوق السرير ومدت يدها إلى التليفون ، وأدارت القرص ، وقالت فى دلال بمجرد أن سمعت الصوت !

– حاشوفك أمتى ..

وأجاب شريف عبد المعز ، فى صوت خفيض حتى لا يسمعه زوار مكتبه :

– بكره ..

وقالت سميرة وابتسامتها تزغرد فوق أسنانها :

– لأ .. النهاردة ..

– وقال شريف فى همس :

– ما أقدرش .. عندى اجتماع مجلس إدارة ..

وقالت سميرة :

– حاتندم ..

وهمس شريف فى صوت بارد :

– أنا باندم على كل دقيقة ما أشوفكيش فيها ..

وقالت سميرة :

– الدور ده حاتندم بصحيح ..

وهمس شريف :

– ليه ؟

قالت :

– جايبة لك حاجه .. صندوقين ..

وهمس :

– صندوقين إيه ؟

قالت :

– روميو وجولييت ..

قال وقد ارتفع صوته قليلا :

– مش معقول ..

قالت :

– وحياتك عندى .. وإذا ما شفتكش النهارده حا أتصرف فيهم .. وانت عارف ..

وعاد يهمس :

– طيب أشوفك قبل المجلس .. الساعة تلاتة ..

قالت :

– هناك ؟..

وهمس :

– هناك ..

قالت :

– باى ..



يوم الاثنين

وفتح عبد العاطى عينيه ، وما كاد يعى أن اليوم هو يوم الاثنين ، حتى انطلق النشاط فى كل أعصابه ، وقفز جالسا على فراشه وقد نسى ذراعه المقطوعة .. والتفت إلى نافذة العنبر ، ورأى ضوء الصباح لا يزال ضعيفا . لسه بدرى .. هانت يا عبد العاطى .. كلها تلات أربع ساعات .. وعاد ومال برأسه على وسادته ، وتذكر ذراعه المقطوعة ، فمد يده السليمة وتحسس كتفه ، وقال وهو يبتسم ابتسامة كبيرة : الفاتحة للمرحوم .. ولا الضالين آمين ، ثم سحبته ابتسامته إلى خياله الذى عاش فيه منذ يومين .. تخيل نفسه وهو يسير فى الحارة والسيجار الطويل العنبرى اللون بين شفتيه .. صباح الخير يا معلم عطوة .. صباح الخير يا واد يا محمد ، سلم على أبوك.. والجميع ينظرون إليه برهبة واعتزاز .. إن ابن حارتهم يدخن سيجارا .. ثم يتخيل نفسه وهو يدخل المصنع ويراه زملاؤه العمال وفى فمه السيجار فيقفون له احتراما كما يقفون لرئيس مجلس الإدارة .. وتخيل نفسه عندما يلتقى برئيس مجلس الإدارة وكل منهما فى فمه سيجار .. زملاء .. فى مستوى واحد .. من طبقة واحدة .. ربما وضع كل منهما

ذراعه فى ذراع الآخر ، وسارا يتناقشان فى مشاكل الشركة .. وضحك ضحكة خفيفة عندما تخيل سعاد وهى جالسة بجانبه على مائدة فى كازينو قصر النيل ، تنظر إلى السيجار فى فمه ، بدهشة وتعجب ، تماما كما كان هو ينظر إلى السيجار فى فم رئيس مجلس الإدارة ..

ومر به مصطفى التومرجى فناداه فى فرحة :

– يا سى مصطفى .. صباح الخير .. الساعة كام وحياة أبوك .

وقال مصطفى وهو يرد تحيته فى حب :

– صباح النور يا عبد العاطى .. الساعة ستة ونصف ..

وقال عبد العاطى وهو ينزع غطاء السرير من على ساقيه :

– يدوبك نقوم بأه ..

وقام واغتسل .. وأعتنى أكثر من كل مرة بتسريح شعره .. وبدل جلبابه .. ارتدى جلبابا نظيفا ، وطوى الكم الفارغ مكان ذراعه المقطوعة ، بعناية .. ثم رقد فى سريره .. وعندما عاد إليه مصطفى التومرجى يحمل إليه طعام افطاره ، سأله فى صوت خفيض ينبض بانفعاله :

– هم الستات بتوع الجمعية مش حاييجوا النهاردة برضه ؟.

وضحك مصطفى ضحكة كبيرة وقال :

– هم الستات وحشوك وإلا إيه يا عبد العاطى ..

وقال عبد العاطى وقطرات من حمرة الخجل والارتباك تسقط على خديه :

– أبدا واالله .. بس باسأل ..

وقال مصطفى :

– مش النهاردة الاثنين .. يبقوا جايين ..

وقال عبد العاطى فى صوته الخفيض :

– خدمة كمان يا سى مصطفى .. ممكن أحلق ذقنى ..

وقال مصطفى فى حب :

– عنيه يا سى عبد العاطى .. ده أنت حبيبنا وراجلنا .. أبعت لك الحلاق حالا ..

وحلق عبد العاطى ذقنه ..

والدقائق تمر ..

والساعات تمر ..

والتفت إلى زميله حسنين يسأله :

– هم الستات بتوع الجمعية بييجوا عادة أمتى ؟

وأجابه حسنين فى مرح :

– حداشر .. اتناشر .. زمانهم جايين .. إنما أنا مش عارف أنت مستعجل عليهم كده ليه ؟

ولم يجبه عبد العاطى ..

والدقائق تمر ..

والساعات تمر ..

وهو أحيانا يتعلق بالأمل .. وأحيانا يميل إلى اليأس .. وأعصابه بدأت تنهار .. ونفسه بدأ يضيق .. وانكمشت ابتسامته .. وتكدرت عيناه .. وبدأ يشعر بآلام جروح ذراعه المقطوعة ..

وأخيرا .. فى الساعة الواحدة .. الواحدة والنصف .. ظهرت سيدات الجمعية على باب العنبر ، وكل منهن قد علقت على أسنانها ابتسامة .. واشرأب رأس عبد العاطى يتطلع إليهن من فوق سريره .. وهن يطفن على زملائه المرضى ، يناولن كلا منهم كيسا به حلوى ، وعلبة سجائر بلمونت .. عشرة .. إنه لا يرى أحدا قد أخذ سيجارا .. لعل أحدا من الزملاء لم يطلب سيجارا .. لعل الأصول أن يطلب كل واحد ما يريد ..

ووصلت سميرة هانم إلى سرير زميله حسنين ، وناولته كيس الحلوى والعلبة البلمونت ، وسمع حسنين يشكرها فى برود ..

واعتدل عبد العاطى فوق سريره فى انتظار أن تصل إليه سميرة ..

ووصلت سميرة إليه .. وانحنت تسأله فى حنان مصطنع :

– ازياى الصحة النهاردة ..

وأجاب عبد العاطى وهو يغتصب ابتسامة من خلال أعصابه المضطربة :

– الحمد لله .. نشكره ..

وناولته كيس الحلوى وعلبة البلمونت قائلة :

– دى حاجة بسيطة من الجمعية ..

وقال عبد العاطى فى صوت خفيض :

– أنا عايز سيجار ..

وقالت سميرة كأنها لم تسمعه :

– شد حيلك ..

وأدارت له ظهرها تهم بالابتعاد ..

ورفع عبد العاطى صوته :

– يا ست ..

وعادت سميرة والتفتت إليه :

– نعم .. أى خدمة ..

وقال عبد العاطى وابتسامته الضيقة ترتعش على شفتيه :

– أنا عايز سيجار ..

وقالت سميرة فى دهشة حقيقية :

– بتقول إيه ؟

ورفع عبد العاطى صوته أكثر :

– سيجار .. عايز سيجار ..

وقالت سميرة وقد بدأت نظرتها ترتعد فى عينيها :

– ما أنا أديتك علبة بلمونت .. عايز علبة كمان ؟

وقال عبد العاطى فى إصرار ، وقد بدأ وجهه يحتقن وعيناه تبرقان :

– لا .. عايز سيجار .. سيجار أسود طويل زى اللى خده حسنين المرة اللى فاتت ..

وقالت سميرة :

– ما عنديش سيجار ..

وصرخ عبد العاطى :

– مش ممكن .. لازم يكون عندك سيجار .. لازم يكون عندك سيجار .. لازم ..

وقالت سميرة فى دبلوماسية باردة ووجهها يمتقع :

– حاضر النوبة الجاية أجيب لك معايا ..

وهمت أن تبتعد ..

وقبض عبد العاطى على معصمها بقوة وصرخ :

– ما أقدرش استنى للنوبة الجاية .. أنا استنيت كتير يا ست .. استنيت كتير .. كتير ..

وجذبت سميرة معصمها من يد عبد العاطى بكل قوتها وهرولت مبتعدة عنه ، وقد سقطت تسريحة شعرها فوق وجهها ، وقالت فى حدة وغيظ :

– أنت يعنى كنت عرفت السيجار منين ..

وهرول عبد العاطى وراءها .. وعيناه جاحظتان .. وهو يصرخ فى جنون :

–ما أنا عايز أعرفه .. عايز أعرفه يا ست .. عايز أعرفه ..

وهجم مصطفى التومرجى على عبد العاطى ، واحتضنه فى صدره ليحول بينه وبين سميرة ..

والمرضى فى العنبر يتطلعون ولا يدرون لماذا جن عبد العاطى .

وجاء الطبيب مهرولا ، وأوصى باعطاء حقنة منومة لعبد العاطى .. ثم أسرع يعتذر لسميرة هانم .

وقالت سميرة من بين أسنانها وهى تساوى شعرها :

– دول وحوش دول .. أعوذ بالله ..

●●●

● بعد ثلاثة أسابيع

وعبد العاطى عائد إلى المصنع . مرتد بدلته الزرقاء ، وكم سترته الفارغ يتدلى بجانبه ..

ولم تكن ذراعه المقطوعة هى أقسى ما يبدو عليه .. كانت تعابير وجهه منهارة .. رأسه منكسا .. عيناه مرخيتين .. فكه ساقطا .. وعمره الشاب قد شاخ فى ثلاثة أسابيع .. ولم يكن يفكر فى شىء .. كل ذرة فى عقله جامدة .. لم يكن حتى يفكر فى الطريق الذى يسلكه .. كان يسير إلى المصنع بحكم العادة .. نفس الطريق الذى قطعه إلى المصنع خلال سنوات طويلة .. كالحمار .. يعرف طريق العودة إلى الزريبة ..

وما كاد عبد العاطى يدخل إلى المصنع حتى انتبه إلى مظاهرة كبيرة من العمال تستقبله .. يحيا الزميل الشريف .. يحيا العامل البطل .. يحيا عبد العاطى .. العمال تحييك يا عبد العاطى ..

وتصفيق حاد ..

وصاح الأسطى محمود :

– الشربات يا جدع ..

وخرجت أكواب الشربات التى اشتراها العمال على حسابهم تحية لزميلهم ..

وعبد العاطى واقف جامد .. فى عينيه نظرة كأنها الدهشة ، وعلى شفتيه ابتسامة متسائلة ..

وفجأة دخل إلى عنبر الآلات سكرتير رئيس مجلس الإدارة ، واقترب من عبد العاطى مهرولا قائلا :

– الحمد لله على السلامة يا بطل .. البيه عايز يشوفك حالا .

وصفق العمال .. وهتفوا .. يحيا رئيس مجلس الإدارة .. يحيا شريف بيه عبد المعز ..

وصاح الأسطى محمود :

– طلع شربات لشريف بيه يـا جدع .. الشربات يتوزع على الإدارة كلها .. كله النهاردة شربات ..

ثم تقدم الأسطى محمود واحتضن عبد العاطى ، وقبله على كلتا وجنتيه ، وقال فى حنان كبير :

– الحمد لله على السلامة يا عبد العاطى ..

ثم تـركـه للسكرتيـر ليصـحبـه إلى غـرفة رئيس مـجلس الإدارة ..

ودخل عبد العاطى يدوس على السجاد الذى يبتلع الصوت ، وتهب عليـه الريح البـاردة التى تنطلق من جـهـاز التكيـيـف .. ووقف السيد شريف عبد المعز يـحييه ، واحتار هل يمد له يده اليمنى أم الـيسرى ، ليـصافحـه .. ثم عاد يجلس وراء مكتـبه الكبير .. وعـبد العاطى واقف أمامه جامـدا ، لا تزال فى عينيه هذه النظرة المندهشة وهذه الابتسامة المتسائلة ..

وقال رئيس مجلس الإدارة فى صوت وقور فخم :

– إن شركتنا تفخر بأن تضم بين عمالهـا عاملا مثاليا مثلك يا سيد عبد العاطى .. ويشرفنى أن أبلغك أن مجلس الإدارة قد قرر مجمعا على مثاليتك و ..

ولم يكن عبد العاطى يسمع شيئا ..

لقد لمح السيجار بين أصابع رئيس مجلس الإدارة ..

وضاقت نظرات عينيه ، وزم شفتـيه على ابتسامته .. وخيل إليه للحظة إن هذا السيجار هو الذى يتكلم وليس رئيس مجلس الإدارة .. وأن حلقـات الدخـان المتـصـاعـدة هى هذا الصـوت

الوقور الفـخم الذى يرن فى أذنيه .. لو كـان فى يده هو الآخر سيـجار لاسـتطاع أن يفهم مـا يقوله رئيس مـجلس الإدارة .. السيجار يفهم السيجار ..

ثم ضاقت نظـرات عينيه أكـثر .. ووجد نفـسه يتـمتم فى صدره :

– السيجار ده بتاعى .. ده حقى .. حق دراعى المقطوع ..

وقفزت فى صدره ابتسامة ساخرة ، وعاد يتمتم بينه وبين نفسه :

– يمكن لازم أقطع دراعى التانى علشان آخد حقى ..

وهز ذراعه السليمة وملأت ابتسـامته الساخرة كل صدره ، وتمتم :

– سلامة دراعك يا عبد العاطى .. ولا يهمك ..

ورئيس مجلس الإدارة لا يزال يتكلم ..



القضية نائمة في سيارة كاديلاك

أنا شاب فلسطينى ..

ولا أدرى ماذا تعنى كلمة « فلسطينى » بالنسبة لكم ، ولكنها تعنى بالنسبة لى ، إن وطنى هو حيث لا أستطيع أن أكون .. وأن كل مكان أستطيع أن أكون فيه ، ليس وطنى .. ووطنى مجرد صورة مهزوزة فى خيالى ، كصورة الجنة فى خيال المؤمن ، مهما اجتهدت فى توضيح خطوطها تظل دائما مهزوزة .. والوطن عند الناس كلهم هو الأمان ، والسلام ، والاستقرار . والحب ، أما وطنى فهو الثأر ، والحرب ، والدم ، والحقد . وأحاسيس تهرى بدنى ، وتفتت أعصابى ، وتمتص النوم من عينى ..

وقد فتحت عينى فى بيروت حيث نزحت عائلتنا .. وأبى يخرج فى الصباح حاملا صينية حلاوة تصنعها له أمى ، ويعود آخر النهار بطعامنا .. وطول النهار تحكى لى أمى عن بيت كان لنا هناك ، وقرية ، وشجرة زيتون ، وبيارة برتقال .. كل هذا كان لنا .. هناك .. وكبرت وليس لى إلا أمل واحد .. أن أعود إلى هناك .. إلى وطنى .. إلى البيت ، والقرية ، وشجرة الزيتون ، وبيارة البرتقال .. أنام كل ليلة كأنى أستعد للرحيل ،

وأخطو كل صباح خارج البيت كأنى أخطو نحو وطنى .. وكنت أعرف أن الطريق طريق الدم والموت ، ولكنى لم أكن أتصور نفسى شهيدا فى هذا الطريق .. أبدا .. كنت أتصور نفسى كأبطال الأساطير ، أخوض بحر الدم بقدمين ثابتتين ، وألقف طائرات العدو بيدى وأفعصها بين أصابعى .. وأسير هائلا ، ضخما ، مخيفا ، إلى أن أصل إلى بيتى ، وأستريح من المشوار تحت شجرة الزيتون ..

كنت أعرف أن الطريق طريق صعب ، ولكنى لم أكن أعرف من أين يبدأ .. لم أكن أعرف له بداية إلا الصراخ .. فكنت أصرخ .. أصرخ طول النهار بالشعارات والهتافات التى ملأوا بها أذنى .. وأشترك فى كل زحام يتيح لى أن أصرخ أكثر .. وكان صراخى يرن فى فراغ عقلى ، فيبدو كأنه حرب .. كأنه نصر .. وأحس كأنى فتحت فعلا طريق العودة إلى هناك .. وأعود إلى البيت لأنام كأنى أستعد للرحيل ، وأخطو فى الصباح خارج البيت كأنى أخطو نحو وطنى ..

ولكن أبى لم يعجبه تفرغى للصراخ .. إنه يريدنى أن أعمل وأكسب لأساعده على إعالة أمى وأخوتى .. فاشتغلت عاملا فى محل صغير بأحد الأحياء الشعبية يبيع الخردوات ولوازم النساء .. وربما رشحتنى لهذا العمل وسامتى أكثر مما رشحتنى كفاءتى .. ولكن حتى ذلك الحين لم أكن قد تنبهت إلى وسامتى .. لم أكن قد رأيت فى مرآتى قوامى الفارع المتسق ، ولا عضلاتى المليئة ولا عينىَّ الواسعتين المتقدتين ، ولا وجهى النحيل الساذج .. لا شىء من هذا كان يخطر

ببالى.. ولا خطر ببالى أن فىَّ شيئا يمكن أن يجذب النساء .. بل لم يكن فى حياتى نساء .. زين .. ولكن زين ليست من النساء .. إنها شىء أرقى من النساء .. فلسطينية مثلى .. رفيقة طفولتى وصباى وشبابى .. وشريكة آمالى ويأسى .. ولم يكن بيننا شىء يمكن أن نعترف به .. لم يكن بيننا سوى أنها فى حياتى وأننى فى حياتها .. ولم أكن أتصور حياة ليس فيها زين ، ولم تكن تتصور حياة ليس فيها غسان .. حياة كل يوم.. وأحيانا نخرج معا دون أن تتساءل من حولنا العيون .. وتسير بجانبى وهى بثوبها الرخيص وحذائها المتآكل ، لنقف عند بحر بيروت ونتحدث .. لا .. أنا وحدى الذى أتحدث .. أحدثها عن بيتنا هناك ، وعن القرية ، وعن شجرة الزيتون ، وبيارة البرتقال وعن صراخى الذى يصنع منى هذا المارد الهائل الضخم المخيف الذى يلقف الطائرات بيديه ويفعصها بين أصابعه .. وهى تتلقف كلامى بعينين مبهورتين .. ترتفع مع آمالى ، وتهبط مع يأسى .. راضية دائما .. راضية حتى لو صنعت لى صينية حلوى أطوف بها طول النهار وأعود إليها فى المساء بثمن الطعام .. لا .. لم تكن زين من صنف النساء .. صنف أرقى .

وصاحب المحل ينظر إلى فى اشمئزاز وقرف .. ربما لأنى لا أستغل وسامتى فى اجتذاب النساء لازيد من مبيعاته ، وأحيانا يصرخ فىَّ :

– يا أخى .. ابتسم .. ابتسم للزبونة إنها تكاد تأكلك بعينيها .

لا .. ليس فى صدرى ابتسامة واحدة .. ولا وقت عندى للابتسام ، حتى لو أكلتنى النساء بعيونهن .. أن كل ما فى صدرى نار .. وكل وقتى بحث عن الطريق .. طريق العودة ..

وطردنى صاحب المحل ..

لا يهم ..

فقد كنت فى هذه الأثناء قد خطوت خطوة كبيرة فى الطريق .. أتصلت بالاستاذ حسن محيسن صاحب ورئيس تحرير جريدة « نحن العرب » .. إنه يكتب كلمات من نار .. صراخه أعلى من صراخى .. صراخه يشق طريقه إلى كل الناس .. إنه صراخ مكتوب .. آلاف النسخ تصرخ .. وقد كنت أقرأ صراخ الاستاذ محيسن وأحفظه عن ظهر قلب قبل أن أعرفه .. وبعد أن عرفته أصبحت أحفظ كل كلامه حتى ما لا يكتبه ، بل أصبحت أحفظ طريقة مشيته ، وأقلده فيها ، وفخامة صوته ، وسيجارته التى يضعها فى طرف شفتيه ، ومسبحته التى لا تفارق أصابعه .. وأقلده فى كل ذلك .. أصبحت نسخة من الأستاذ حسن محيسن .

وقربنى الأستاذ إليه ..

أصبحت أدخل مكتبه بلا استئذان ، وأجلس معه طوال النهار .. وأحيانا يدعوننى إلى بيته لنتناول الغداء أو العشاء ..

وفتح عينى ..

لقد اقنعنى أننا لا يمكن أن نسير فى الطريق إلا بعد أن نطهره من الخونة ...

له حق ..

لقد كنت غبيا وأنا أحاول أن أسير فى طريق يسده الخونة ..

ولكن ..

كيف نبدأ عملية التطهير ..

الأستاذ محيسن يقول أن كتابة المقالات والصراخ على صفحات الجريدة لم يعد يأتى بأى نتيجة .. كل الآذان تحصنت ضد الصراخ .. ويجب القيام بعمل إيجابى لتطهير الطريق ..

ومال الأستاذ محيسن على أذنى وهمس يطلعنى على سر خطير « أنه مشترك فى جمعية سرية أحد أهدافها القضاء على الخونة ، وأنه سيعرض اسمى على الأعضاء ، ويزكينى لديهم ، فإذا وافقوا أصبحت منهم وأشركونى فى العمل معهم .. » ..

ولم يقل لى أكثر من ذلك ..

لم يطلعنى على اسم الجمعية ، ولا على مقرها ، ولا على برنامجها ولا على اسم أحد من أعضائها ..

له حق ..

وعشت ليالى قلقة طويلة فى انتظار رد الجمعية .. أصبح باب الجمعية بالنسبة لى هو باب العودة ، هو باب بيتى هناك.. والقرية ، وشجرة الزيتون ، وبيارة البرتقال ..

وبعد أسبوع .. أكثر من أسبوع .. استقبلنى الأستاذ محيسن مبتسما مبشرا .. ثم تأكد من أنى أغلقت الباب ورائى.. ومال على أذنى هامسا :

– الجمعية قررت أن تضعك موضع الاختبار ..

وفرحت .. وهمست فى صراخ مكتوم :

– أختبرونى بدمى ..
وقال الاستاذ فى هدوء :
– لا .. اختبار بسيط ..
ثم طلب منى أن أقسم على كتمان السر قبل أن يطلعنى على موضوع الاختبار ..
وأقسمت مخلصا ..
وكان الاختبار هو أن أقوم بالقاء بعض المتفجرات أمام بيت الوزير فـهـومة الانصـورى للإرهاب .. إنه على رأس قـائمـة الخونة .. ويجب إرهابه .. فإن لم يفلح الإرهاب ، فإن الجـمـعية ستتخذ قرارا أخطر ..
وتحمست .. الحماس يكاد يفجرنى ..
وشرح لى الأستاذ الخطة .. بدقة وهدوء .. واستوعبتها بكل انتـباهى وذكـائى .. ثم أعطانى كـمـيـة من أصـابع الجلجنايت ملفوفـة فى عدد من أعداد جريدة (نحن العـرب) ، وأوصانى إلا أمر عليه ولا أدخل مـبنى الجريدة إلا بعد أسبـوع من تنفيذ العملية ..
وفرحت بالجلجنايت فى يدى .. إنه أول سـلاح فى حياتى أضع يدى عليـه .. وخـيل إلىّ ـ رغم أن كـمـيـتـه لا تكفى إلا للفـرقعـة الإرهابية ـ أنى أسـتطيع أن أنسف به الدنيا كلـهـا .. أحسست بقوة عـارمة .. وأحسست بخطاى ـ والجلجنايت فى يدى ـ تدق الأرض كأنها قادرة على أن تشعلها نارا ..
ونفذت العملية ..
بنجاح كبير ..

والصـحف كلهـا تحمل علـى صفـحـاتها الأولى تـفاصـيل الحادث ، وصورة سور حديقة الوزير فـهومة وقد أسود بغبار أصابع الجلجنايت ..
وبعد أسبـوع كنت فى مكتب الأستاذ حسن مـحيسن أتلقى التهنئة .
– هل قبلتمونى عضوا فى الجمعية ..
وهز الأسـتـاذ محـيسن رأسـه فى وقار وقـال فى صـوته الفخم :
– أختبار واحد لا يكفى .. لابد من ثلاثة اختبارات .. قانون الجمـعية ينص على الاخـتبارات الـثلاثة صراحـة .. ولكنى قد أستطيع أن أعفيك من الاختبار الثالث ..
قلت فى لهفة :
– ما هو الاختبار الثانى ..
وقال الاستاذ محيسن :
– لا أدرى بعد .. الجمعية لم تبلغنى شيئا ..
ثم اتسعت ابتسامته وقال :
– ولكن الجمعـية أمرت بتعيينك مـوظفا فى الجريدة بمرتب ثلاثمائة ليرة فى الشهر ..
وكدت أطير من الفرح ..
إن أكبر راتب حصلت عليه حتى يومها لم يكن يتجاوز المائة والخمسين ليرة ..
ولم يعهـد إلى بعمل فى الجريدة إلا صداقـة الأستاذ .. وإن كنت الآن لا أجلس طويلا فى مكتـبه . ولكنى أجلس طويلا فى غرفة سكرتيره ..

وبعد أسابيع جاء أمر الجمعية السرية باجراء اختبار آخر ..

القاء نفس كمية المتفجرات على صور إحدى السفارات العربية ونفذت العملية بدقة .

ثم ..

لم يستطع الأستاذ أن يعفينى من الاختبار الثالث ..

وكان الاختبار الثالث أن أقوم بتدبير مظاهرة تهتف بسقوط الوزارة ..

ودبرت المظاهرة .. أشركت فيها كثيرا من الشباب .. وإن كانت قد كلفت الأستاذ أكثر من ألف ليرة ..

وقبل أن أتحدث مع الأستاذ فى أمر انضمامى للجمعية بعد أن اجتزت الاختبار الثالث .. سقطت الوزارة فعلا .. واعتقدت أنى أنا الذى اسقطتها .. لم لا .. أنا الذى أسقطتها .. أنا الذى أقيم الوزارات وأسقطها فى بيروت ..

وتألفت الوزارة الجديدة ..

وكان الأستاذ حسن محيسن أحد وزرائها ..

ولم يعد الأستاذ يذهب إلى مكتبه فى الجريدة ، فذهبت لتهنئته فى الوزارة .. انحشرت بين عشرات من المهنئين .. وخيل إلى أنه صافحنى ببرود .. ولكن .. ربما تعمد هذا البرود حتى لا يكشف صلته بالجمعية السرية التى أصبحت عضوا من أعضائها بحكم اجتيازى للاختبارات الثلاثة .. وإن كنت حتى اليوم لا أعرف عنها شيئا ، ولا أبلغنى أحد أنى أصبحت عضوا من أعضائها ..

ومضى يومان ، ثم ذهبت إلى الأستاذ فى مكتبه بالوزارة .. وجلست طويلا فى مكتب السكرتير .. ولم أستطع أن أقابله .. واليوم التالى .. والذى يليه .. ثم الذى يليه .. أيام كثيرة لم أستطع أن أقابل فيها الأستاذ .. وانتظرته يوما بجانب سيارته وما كاد يلمحنى حتى أشاح بيده قائلا :

– ليس هذا وقته يا غسان .. بعدين ..

واختفى داخل السيارة ..

وبدأ ظلام اليأس يحيط بى .. هل تغير الأستاذ .. هل نسى القضية ..

وفوجئت فى اليوم التالى بأن الأستاذ أمر بإغلاق الجريدة.. جريدة « نحن العرب » .. وتسريح موظفيها بعد صرف مكافآتهم.

وذهبت إليه فى الوزارة صارخا ..

يجب أن أقابله ..

إن صراخى يستطيع أن يحطم بابه ..

وتحطم الباب فعلا .. أقصد فُتِح .. ووقفت أمامه وهو يصافحنى بحرارة ، وخيل إلى أنه ازداد اكتنازا وأن وجهه ازداد توردا .. وتكلمت قبل أن يتكلم .. قلت :

– إن إغلاق الجريدة معناه إخراس القضية .. و ..

واستمع إلى الأستاذ بهدوء بارد ، ثم أجابنى بهدوء بارد أيضا :

– اسمع يا غسان .. إننا نعمل الآن على مستوى المسئولية.. لم نعد فى حاجة إلى جريدة ولا إلى جمعية .. كل قوى الدولة

أصبحت فى يدنا ، نحركها فى سبيل نصرة القضية .. ويجب أن تثق وتطمئن .. و ..

وكلام كثير ..

واليأس يزحف على صدرى ..

وقبل أن أخرج صاح بى مبتسما :

– أعتبر نفسك لا تزال موظفا فى الجريدة .. مرتبك سيدفعه لك السكرتير كل شهر .. وقد أمرته أن يدفع لك اليوم شهرا مقدما ..

ولا أدرى لماذا لم أرد عليه .. ربما كنت مازلت حتى يومها واقعا تحت تأثير شخصيته وطنين صراخه القديم ..

وخرجت من مكتبه منهارا ..

وأوقفنى السكرتير ، ومد يده لى بمبلغ الثلاثمائة ليرة .. وما كدت ألمح النقود فى يده حتى صرخت :

– لن آخذ نقودكم .. انتم خونة .. خونة ..

ثم خطفت النقود وأنا مازلت أصرخ ، ومزقتها ..

وخرجت أجرى كالمجنون ..

نشرت الصحف بعدها أن الوزير حسن محيسن طلب زيادة الحراسة عليه لحمايته من شخص مصاب فى قواه العقلية ..

أى أنا ..



ومرت بى الأيام والغيظ والحقد يفرينى .. خدعت .. خدعنى الأستاذ .. لقد صنعت منه وزيرا ، وهو لم يصنع منى شيئا .. إنه حتى لم يجعل منى عضوا فى جمعية سرية ربما لم تكن

هناك جمعية سرية إطلاقا .. مجرد خدعة .. الخائن .. المنافق .. المخادع .. لقد تركنى حيث التقطنى ، دون أن يرينى بداية الطريق .. طريقى لقد كنت أسير معه فى طريقه ، لا طريقى .. طريق الوزارة .. و الحنق والحقد يشتدان بى ، وقلبى المجروح ينزف دما .. وأفكر فى أن أغتاله .. أقتله .. ووضعت فعلا مائة خطة لاغتياله .. وضعتها كلها فى خيالى .. ثم أحيانا كنت أهدأ.. وأكاد أصفح عنه .. ربما كان صادقا .. ربما كان يعمل الآن فعلا للقضية على مستوى المسئولية .. ربما أستطاع أن يحيل الحكومة كلها إلى جمعية سرية تعمل على فتح الطريق وتطهيره من الخونة .. ولكنه يتجاهلنى .. يرفض أن يقابلنى .. قذف بى بعيدا عن بابه .. ويعود الحنق يشتد بى .. وأجرى إلى زين .. أنى أجرى إليها دائما .. أجلس بجانبها فى البيت ، وأقف معها على شاطىء بحر بيروت .. وأتكلم ، أتكلم كثيرا . أكشف لها عن كل ثورتى .. وأكشف لها عن كل ضياعى ويأسى .. وأحيانا أرى فى عينيها المبهورتين الطيبتين ضوءا كسراج الأمل ، وأحيانا لا أرى فى عينها سوى صينية الحلاوة ، تصنعها لى ، لأطوف بها فى الشوارع وأعود إليها آخر النهار بثمن الطعام ..

والكلام الكثير يضعضعنى .. يهدنى .. لم أعد أصرخ .. بل لم أعد أقوى على الصراخ .. فقط الكلام .. ربما لأن عقلى لم يعد يحتمل الصراخ .. عقلى أصبح مليئا بالشك .. والريبة .. وأحيانا الخبث .. وكثير من الخوف .. الخوف من أن أخدع مرة ثانية ..

إلى أن التقيت بسهام ..

وكان لقاؤنا صدفة ..

كنت أجتاز شارع الحمراء الزاخر بالسيارات ، من رصيف إلى رصيف ، وأنا تائه فى ضياعى .. وفجأة أحسست بشىء يصدمنى صدمة خفيفة .. ووقعت على الأرض دون أن يصيبنى شىء .. ورفعت عينى فرأيت فوقى سيارة .. سيارة كاديلاك بيضاء .. سقفها أسود .. موديل ٦٧ سبور .. كابربوليه .. وكل ذلك لمحته فى نظرة واحدة .. وقبل أن تبهرنى السيارة .. وقفت على قدمى ، أتحسس جسدى ، والسخط ينطلق من صدرى .. وقبل أن أعلن سخطى ، أطل على وجه أسمر جميل من نافذة السيارة . وصوت ناعم يسألنى :

– هل أصبت ؟..

وعلقت عينى بالوجه الأسمر وقلت فى زهق :

– لا .. لا أظن ..

قالت فى لهفة :

– أريد أن أطمئن ..

وتحسست جسدى مرة ثانية . وقلت :

– لا .. لم أصب ..

والسيارات من خلفنا تضج بأبواقها تطالب أن نفسح لها الطريق ..

وقالت السمراء فى عجلة :

– تعال .. أصعد بجانبى ..

وترددت ..

وعادت تقول فى عجلة ولهجة لا تخلو من أمر :

– أننا لا نستطيع أن نقف هكذا .. أصعد ..

وفتحت باب السيارة وركبت بجانبها ..

وانطلقت ..

وعادت تقول وهى تنظر إلى الطريق أمامها :

– هل تأكدت أنك بخير ..

قلت :

– بخير ..

قالت :

– أنا آسفة .. إنها غلطتى ..

قلت :

– بل غلطتى ..

قالت :

– غلطتى .. فإنى لا أطيق القيادة فى شارع مزدحم ..

قلت :

– بل أنا الذى كنت أعبر الطريق وأنا ساهم ..

قالت ضاحكة :

– إذن غلطتنا نحن الاثنين .. حتى لا يغضب أحدنا ..

وخلال كلماتى ، كنت التقط ملامحها فى نظرات متقطعة خجلة .. شعرها أسود .. عيناها الواسعتان العربيتان .. أنفها الرفيع المستقيم .. شفتاها المكتنزتان وقد احتفظتا بلونهما الطبيعى الغامق ، كأنهما شفتا بدوية تمرح فى الصحراء ..

وصوتها يرن فى أذنى رفيعا ينبض بلهجة حلوة بدوية ليست على أى حال لهجة لبنانية .

وقالت وهى تبتسم لى ابتسامة كبيرة وتنظر إلى بكل عينيها :

– إلى أين تريد أن أوصلك ؟.

وكدت أصف لها الطريق إلى بيتنا فى الحى الشعبى الفقير ، ولكنى توقفت .. لأول مرة أحس أنى أريد أن أخفى بيتى وأهلى عن الناس .. كأن بيتى وأهلى فضيحة .. وقلت بسرعة :

– على الروشة ..

وقادت سيارتها فى طريق (الروشة) .. وأنا أبحلق فى (تابلوه) السيارة ، وأتحسس جلدها بأصابعى .. إنى لم أركب أبدا سيارة بهذا الجمال .. وهذا الغنى .. ركبت سيارات كثيرة معظمها سيارات أجرة .. بل أنى تعلمت القيادة عندما فكرت مرت أنى أعمل سائقا .. وركبت سيارة الاستاذ محيسن ، ولكنى لم أر أبدا سيارة بمثل هذا الجمال .. وبدأت آمال كبيرة عريضة تطوف برأسى .. آمال يبلغ من ضخامتها أنى خفت أن أصارح بها نفسى ..

ووقفت السيارة عند الروشة وقالت لى بصوت رقيق :

– هنا ؟..

قلت :

– هنا ..

ثم تلعثمت قليلا واستطردت فى صوت خافت كأنى أخشى أن تجرحها موجات صوتى :

– لعلنا نلتقى فى حادث آخر ..

ونظرت فى وجهى بعينين أشتد بياضهما واشتد سوادهما.. وعينان نهمتان ذكرتانى بصاحب المحل الذى كنت أعمل فيه ، والذى كان يعتقد أن النساء يأكلننى بعيونهن .. وقالت وابتسامة خفيفة تطوف بشفتيها البريتين :

– أعتقد أننا نستطيع أن نلتقى بلا حادث ..

قلت فى لهفة :

– متى ؟..

قالت :

– الليلة .. الثامنة .. هنا ..

وابتسمت .. لم أكن أعرف أنى أستطيع الابتسام بهذه البساطة .. ونزلت من السيارة وأغلقت بابها ثم قلت كأنى نسيت شيئا :

– أسمك ..؟ إذا كان هذا من حقى ..

وضحكت قائلة :

– سهام .. وأنت ؟

قلت :

– غسان ..

وابتعدت ..

والآمال الكبيرة تجيش فى صدرى ، وتملأ رأسى ، وأخاف أن أصارح بها نفسى ..

وعدت إلى البيت وأسرعت أقف أمام المرآة لاطمئن على سلاحى الجديد .. السلاح الذى لم أنتبه إليه أبدا ، ولا أحسست

به ، ولا استعملته .. وسامتى .. قوامى الفارع المشوق .. وعضلاتى المليئة .. وعيناى .. ووجهى النحيل .. وأحسست بنفسى وأنا أمام المرآة كأن عين سهام تأكلنى ..

ولم أهتم بزين وهى واقفة ورائى تنظر إلى فى تعجب ..

لم أعد أهتم بزين .. هناك ما هو أهم ..

وفى الساعة الثامنة كنت هناك ..

وأخذتنى سهام إلى مطعم صغير فى طريق الجبل .. وجلسنا نتحدث .. إنها لا تتحدث كثيرا عن نفسها .. كل ما قالته أنها مطلقة .. وهى تريد أن تسمع كل شىء عنى .. وقلت لها كل شىء ، وأنا أضع بين سطورى حماسى لقضيتى .. حماسى للعودة إلى البيت . والقرية ، وشجرة الزيتون وبيارة البرتقال .. وهى تستجيب لحماسى .. أنها مثلى ، تحلم لى بأن أعود .. ودخل رجل المطعم وأخذ يحدثها ثم أعطاها ورقة لعلها تحمل رقم تليفون ولكنى لم أسأل شيئا .. يجب أن أكون حريصا فى كل سؤال حتى لا أنفر سهام منى .. ولكنها قالت لى بعد أن أنصرف الرجل ، وهى تضع يدها فى رقة فوق يدى :

– إنه شقيق إحدى صديقاتى .. يعطينى رقم تليفونها الجديد وشعرت بيدها فوق يدى كأنها لمسة القدر ..

ودفعت هى حساب المطعم .. تظاهرت بأنى أهمُ بالدفع .. ولكنها أصرت .. وعندما انصرفنا قالت لى فى رقة وذراعها فى ذراعى :

– تولى أنت قيادة السيارة .. إنى أكره أن أقود سيارة ورجل بجانبى ..

وترددت .. بل خفت .. كيف أقود هذه السيارة الغنية .. إنها مسئولية كبيرة .. ولاحظت سهام ترددى ، وقالت فى دلال :

ألا تستطيع أن تقود سيارة ؟

قلت بسرعة وأنا أتحدى خوفى :

– أستطيع .. طبعا أستطيع ..

وقدت السيارة وسهام بجانبى .. كنت أقودها كأنى أحملها على كتفى وأسير بها .. ولكن بعد قليل زايلتنى الرهبة ، وبدأت أتمتع بقيادتها .. أنها سلسلة طيعة كالقطة .. وبدأت أتجرأ عليها كأنى مالكها .. إنى أستطيع أن امتلكها لو أمتلكت سهام .. ولو امتلكت سهام فلن أمتلك السيارة وحدها ، سأمتلك كل ثروتها .. كل ملايينها .. وأستطيع بهذه الملايين أن أكون جيشا فدائيا ، أسلحه بالمدافع والطائرات وأفتح به الطريق إلى وطنى ، دون أن أحتاج إلى أمثال الأستاذ حسن محيسن ..

وكانت هذه هى خطتى الجديدة ..

أن أمتلك سهام ..

وأوقفت السيارة حيث تسكن سهام فى إحدى العمارات الشاهقة بحى راق من أحياء بيروت .. ودلتنى سهام على باب الجاراج .. وفى الجاراج مالت علىّ وعيناها تتطلعان إلى فى نهم .. ثم انفرجت شفتاها ، وأنطفأت عيناها .. وكانت قبلتنا الأولى هامت فيها سهام .. ولولا أن عقلى ساعتها كان مشغولا بخطتى الجديدة ، لهمت فيها أكثر ..

وافترقنا لنلتقى فى الغد ..

وفى الغد كنت أقود السيارة ، وسهام بجانبى تدلنى على

البيت فى شارع الحمراء قالت لى أنـها بيت إحدى صديقاتها .. ولكننا لم نكد ندخل البيت حتى استـأذنت صديقـتها خـارجة بحجة أنها مرتبطة بموعد .. وتركتنا وحدنا ..

وأصبحت سهام لى ..

كلها لى ..



ومن يومها لم نفترق ..

أصـبـحنا دائمـا مـعـا .. أقـود السـيـارة الكاديلاك ، وهى بجانبى .

وعرفـتنى بأصـدقائهـا .. كنا كل ليلة نخرج مع كـثيـر من الأصدقـاء .. وكلهم من الوجـوه اللبنانية المعـروفة والعـائلات الكبيـرة .. ونسهر سـهرات مرحـة صاخـبة وقد اتفـقت معى سهـام على أن تدعى أنى ابن خالتهـا حتى لا تحرج نفسـهـا .. واختارت أن أكون ابن خالتها وليس ابن عمها مثلا ، حتى تبرر اختـلاف لونى الأبيض عن لونهـا الأسمـر .. وكنت أجلس بين هؤلاء الأصدقاء صـامتا معظم الوقت وأنا أنظر إليهم فـاحصا لأحـدد دور كل منهم فى خطتى الجـديدة .. وكل يوم تقـريبـا أصحبها إلى بيت صديقتها فى شارع الحمراء .. ولكنى لم أكن فى كل مرة أصعد معها إلى البيت ، كـانت أحيانا كثيرة تصعد وحدها ، ثم تتركنى أطوف بالسيارة ساعة أو ساعتين وأحيانا ثلاثا ثم أعود لأصحبها ..

وأغرقتنى بالهـدايا .. قمصـان .. وحلل .. وسـاعة .. بل أنها كانت تقرضنـى كلما أحست أنى مفلس .. وأكـثر من ذلك ، لقد

توسطت عند صـديقـهـا .. آسف ، صديـقنا .. السيـد ريمـون شحيطة مدير البنك العالى ، فعـيننى موظفا فى قسم العلاقات العامة بالبنك بمرتب سـتمائة ليرة فى الشهـر .. وكان يعاملنى كصـديق أكثـر مما يعاملنى كـموظف ، حـتى أنه لم يعـهـد إلى بعـمل مـا ، ولم يطلب منى أن أواظب على الحـضـور .. تكفى صداقتنا ..

ولا شك أن كثـيرا من تصـرفات سهـام والجو المحـيط بها يدعو إلى الريبة .. أصدقـاؤها معظمهم من الرجال .. وترددها المستمـر على منزل صديقتها .. وظواهر كثـيرة كنت ألحظها ، ولم أكن أسأل فيها .. لم يحن بعد وقت السؤال .. أريد أولا أن أمتلك سهام .. وأنا لم أمتلكها حتى الآن ..

وربما كان أكثر ما يثيـر ريبتى وحيرتى ، هو أنها لم تدعنى أبدا إلى بيتها .. كانت كل لقاءاتنا الخـاصة فى بيت صديقتها .. وقد تجرأت مرة وسألتها :

– لماذا لا نذهب إلى بيتك ..

وأجابت فى لهجة فاترة كـأنها لا تريد أن يدور نقاش حول هذا الموضوع :

– أمى تقيم معى .. ماذا تريدنى أن أقول لها إذا دعوتك إلى البيت .. هل أقول لها هى الأخرى أنك ابن خالتى ..

وسكت ..

ثم شىء آخر ..

إنى حتى هذه اللحظة لم أستطع أن أعرف قيمة الثروة التى تمتلكهـا سهـام .. مليـون .. مليونين .. لا أدرى .. إنهـا ترتدى

دائما أفخر الثياب .. وفى حقيبتها دائما مبلغ لا يقل عن ألف ليرة .. ولمحت مرة معها دفتر شيكات .. ولكن لا أعرف ماذا تملك .. ولا أستطيع أبدا أن أعرف ..

ثم كان يوم ..

وكانت سهام راقدة فوق ذراعى ، سعيدة ، مرتاحة ، فى إحدى هذه المرات التى صحبتنى فيها إلى شقة صديقتها ..

وقلت فى هدوء :

– سهام .. لقد زهقت من أن أكون ابن خالتك ..

قالت كأنها تحلم :

– ماذا تريد أن تكون ؟

قلت فى بساطة :

– أريد أن أكون .. زوجك ..

وانتفضت جالسة فوق الفراش كأنها فوجئت .. ونظرت إلىّ مليا كأنها تفكر .. ثم قالت وهى تبتسم لى ابتسامة كبيرة :

– لم لا .. إنى فى حاجة إليك .. أنك لا تدرى كم أنا فى حاجة إليك .. وقد عشنا معا ما يكفى لزواجنا ..

وتزوجنا ..

وبعد زواجنا دخلت بيتها لأول مرة ..

وذهلت ..

إنه بيت فارغ .. ليس فيه إلا قطع متناثرة من أثاث قديم متآكل .. ليس فيه قطعة فنية .. ولا طقم من الكوبات الأنيقة .. لا شىء .. لا شىء .. والإهمال والقذارة يبصمان كل مكان فيه .. وأمها امرأة عجوز ترتدى ثوبا رخيصا لا ترضى أمى أن تلبسه ..

وسكت .. لم أتكلم .. ربما أذهلتنى المفاجأة .. ونمت ليلة زفافى على سرير يئن من تحتنا لفرط قدمه .

ولكنى لم أستطع أن أسكت طويلا .. قلت لها بعد أيام :

– متى تؤثثين البيت ..

قالت فى حزم :

– لن أؤثثه ..

قلت :

– لماذا ؟

قالت :

– لست فى حاجة إلى تأثيثه ..

قلت وأنا مازلت أحاول أن أفهم .

– ولكن .. من تملك سيارة كسيارتك ، لابد أن تملك بيتا كاملا ..

قالت فى هدوء :

– لا .. إنى فى حاجة إلى السيارة ، ولكنى لست فى حاجة إلى البيت ..

قلت فى غباء :

– لا أفهمك ..

قالت كأنها تسخر من غبائى :

– إن السيارة يراها كل الناس .. ولكنك لست مضطرا لأن ترى بيتك لأحد ..

ثم استطردت وسخريتها تزداد مرارة :

– لقد كنت تعتقد أنى غنية ..

قلت وأنا لا أزال أتخبط فى غبائى :

– بصراحة .. نعم ..

قالت ببساطة :

– هذا بفضل الكاديلاك .. لو لم يكن عندى كاديلاك لما اعتقدت أنى غنية .. حتى لو كان بيتى مفروشا بالحرير والذهب .. أن ما يبدو أمام الناس هو المهم .. المظاهر يا غسان .. المظاهر .. هل فهمت .. ما يراه الناس من الخارج هو المهم ، أما ما فى الداخل فلا يهم ..

وفهمت ..

فهمت أن سهام غنية من الظاهر ..

ولفت سهام ذراعها حول عنقى وقالت فى دلال سخيف :

– هل تزوجتنى لأنك أعتقدت أنى غنية ؟!

وقلت فى زهق :

– لا .. لا ..

قالت :

– لانك تحبنى .. أليس كذلك ..

قلت :

– نعم .. لأنى أحبك ..

قالت :

– على كل حال اطمئن .. لن تجوع .. وأضمن لك كل ليلة زجاجة شمبانيا وصحن كافيار .. وضحكت ضحكة صارخة ..

ونزعت ذراها من حول عنقى ، وجريت خارجا إلى الشرفة أشم الهواء ..

ومع الأيام تأكدت أن سهام لا تملك فعلا سوى هذه السيارة الكاديلاك الفخمة ، ومجموعة الثياب الغالية التى تبدو بها أمام الناس .. وبدأت أكتشف سر أصدقائها الرجال ، وسر شقة صديقتها ، وسر السهرات الكثيرة المرحة ، وسر تعيينى موظفا فى البنك .. ربما كنت قد أكتشفت كل هذه الأسرار من زمان ، ولكنى لم أكن أواجه نفسى بها .. كنت أخفيها وراء أملى فى تنفيذ خطتى..

ومراجل الغيظ تغلى فى صدرى ..

ولكنى لا أستطيع أن أفعل شيئا ..

إنى مازلت أقود السيارة الكاديلاك كل صباح .. وأتلقى احترام الناس وأكبارهم وتحياتهم وهم ينظرون إلى داخل الكاديلاك .. وأصحب سهام إلى شقة صديقتها .. وأسهر معها فى المساء ومعنا أصدقاؤها الرجال وبينهم صديقى مدير البنك .. وأجلس بينهم صامتا وقد زاد احترامهم لى بعد أن أصبحت زوجا لسهام .

والغيظ يفرينى .. الحقد .. الفشل .. الضياع .. وقلبى المجروح ينزف دما ..

ثم كان يوم عدنا فيه إلى البيت مبكرا .. بعد منتصف الليل بقليل .. ونظرت إلى سهام بكل ما أحمله من مرارة ، وقلت فى حدة :

– اسمعى .. ليس هناك إلا حل واحد ..

وأجابتنى فى برود :

– ماذا تريد ؟..

قلت :

– أن نبيع الكاديلاك ..

وشهقت قائلة :

– نبيعها !! لماذا ؟

قلت :

– لنشترى بثمنها سلاحا .. إنى أستطيع أن أبيعها بعشرين ألف ليرة .. تكفى لتسليح عشرين متطوعا يذهبون معى لفتح الطريق .

قالت وهى تنظر إلى كمجنون :

– لن أبيع الكاديلاك ..

قلت :

– لماذا ؟

قالت :

– لانى لا أساوى شيئا بغيرها .. هلى تعتقد أن الناس تحترمنى إذا سرت فى الشوارع على قدمى .. لا .. إن درجة احترام الناس تختلف بين المشاة وأصحاب السيارات .. ثم تختلف باختلاف أنواع السيارات .. ودرجة الشرف أيضا .. أنى شريفة ، ومن عائلة ، وصاحبة مقام لأنى أركب سيارة الكاديلاك .. وبغير الكاديلاك أنت تعرف ماذا أكون ..

وصرخت :

– لا يهمنى ماذا تكونين .. تهمنى القضية .. القضية يا خائنة .

ورددت صرختى :

– لن أبيع ..

وعدت أصرخ :

– ستبيعين .. ستبيعين ..

وهجمت عليها ، وأطبقت بكلتا يدى على عنقها وأنا أردد .. ستبيعين .. ستبيعين ..

وسمعت صوتها محشرجا خافتا يهتف بى :

– إنك تقتلنى ..

وتركتها قبل أن أقتلها ..

وجريت خارج البيت وأنا أصرخ :

– لن ترينى بعد اليوم يا خائنة ..

●●●

واستقبلنى الليل البارد ..

ونظرت حولى ..

أين أذهب ؟

ليس أمامى سوى الظلام .. والبرد .. والوحدة .. والضياع.. وطريق مجدب يلف حول نفسه بلا نهاية ..

وأنهارت أعصابى فى يأس ..

وأستدرت أبحث عن باب الجاراج .. وفتحت باب السيارة الكاديلاك ، وألقيت نفسى فيها .. وضحكت قبل أن أنام ..

والضحك ليس دليل السعادة ، ولكنه أحيانا يكون تأهبا للبكاء .



المؤتمر.. يصفق لزوزو!

كان السـيد عـباس رمزى واقـفا يقـرأ خطابه فى « المؤتمر العالمى للدفع الشعـبى نحو الاستقراء الاسـتطلاعى » . كان قد مـضى عليه ثلث سـاعـة وهو يقرأ .. وقـد تهـدجت أنفاسـه ، وتصـبب عرقـه وغـامت نظارته أمـام عينيـه ، وأصـبح يلوك الكلمات ، ويبتلع نصف الحروف قـبل أن ينطق بها .. وأعضاء المؤتمر قد تراخوا فى جلسـتهم ومالوا على مساند مـقاعدهم ، وعشـرة منهم وضعـوا نظارات سوداء على عـيونهم ويغـفون نياما خلفها ..

ورشف السيد عباس جـرعة ماء من الكوب الأنيق الموضوع أمامه .. وشد أنفاسه .. وعاد يقرأ فى زهق .. لقد سبق أن طلب من مدير مكتبـه أن يختصر فى كتـابه الخطب التى يعدها له .. ولكن مدير المكتب يؤمن بأنـه كلما طال الخطاب ، دل على علم واسع ، وأفسح المجال للحمـاس الشعبى .. وربما كان على حق على كل حـال ، هانت .. لم يبـق إلا صفـحـة واحـدة وينتـهى الخطاب .. وتحسس عباس أطراف الورق لـيتأكد أنه لم يبق إلا ورقة واحدة .. واستمر يقرأ ..

وعندما وصل السيد عبـاس إلى الفقرة الأخيرة من خطابه ،

شد قامته ، واستعاد جهارة صوته ودق على المنصة بقبضة يده وصاح « لا تنسوا أننا هنا ممثلون لشعوب لا لحكومات .. ومسئولية الشعوب أكبر وأضخم .. وعلينا أن نحقق أمل الشعوب فى الحرية ، والرخاء .. والطريق واضح ، أصبح عنوانا لمؤتمرنا هذا .. أنه طريق الاستقراء الاستطلاعى » ..

وتنبه أعضاء المؤتمر على جهارة صوت عباس ، وعندما تأكدوا أن الخطاب على وشك الانتهاء ، نشطت أعينهم ، وسرت الحركة فى أوصالهم .. وبعد أن نطق عباس بالكلمة الأخيرة ، دوت القاعة بالتصفيق .. ابتهاجا بانتهاء الخطاب ..

وخلع عباس نظارته من فوق عينيه فى تأن ، وجمع أوراقه فى هدوء ، ونزل من فوق المنصة ، يسير فى خطوات وقورة حازمة إلى حيث مكانه فى القاعة .. ثم جلس وتلفت برأسه ناحية اليمين ليتلقى تهنئة زميله الجالس بجانبه ، ثم تلفت ناحية اليسار ليتلقى تهنئة زميله الآخر .. ثم عقد ذراعيه فوق صدره ، ورفع رأسه ، ووضع فى عينيه نظرة اهتمام كبيرة ، وزم شفتيه فى حزم ، وتوجه بوجهه كله إلى المنصة .. إنه يعلم أنه سيجلس هكذا ساعة .. وربما ساعتين .. ولكنه لن يتعب .. ولن يزهق .. ولن يتململ .. لقد تعود على هذه الجلسة .. إنه محترف مؤتمرات .. وهذه الجلسة الجامدة هى أصعب ما يلاقيه محترفو المؤتمرات .. ولكنه تعود عليها .. لم تعد تكلفه شيئا .. إنه مستعد أن يدخل فى رهان مع أى واحد من محترفى المؤتمرات العالمية ، فى طول المدة التى يستطيع أن يجلسها كتمثال من الشمع دون أن يتحرك له عضل ، ولا يهتز له رمش ..

وصعد إلى المنصة مندوب تشيكوسلوفاكيا ..

وفك عباس ذراعيه اللتين عقدهما فوق صدره ، ليصفق .. وصفق العدد الكافى من الصفقات .. هذا فن آخر من فنون المؤتمرات .. يجب أن تعرف متى تصفق ، ولمن تصفق .. وإذا صفقت فيجب أن تعرف هل تصفق بحماس أم ببرود ، وعدد الصفقات التى تصفقها بالضبط .

وبعد أن انتهى عباس من التصفيق ، عاد وعقد ذراعيه فوق صدره .. وفى عينيه نظرة الاهتمام الكبير ، وشفتاه مزمومتان فى حزم .. وبدأ مندوب تشيكوسلوفاكيا يتكلم .. وتنبه عباس إلى أنه يتكلم باللغة التشيكية .. ففك ذراعيه مرة أخرى ، والتقط السماعة التى تنقل إليها الترجمة ، فوق أذنيه .. الأصول .. حتى يستكمل مظاهر الاستماع التى تتطلبها المؤتمرات ..

وعيناه مركزتان فوق وجه مندوب تشيكوسلوفاكيا .. لقد قضى فى تشيكوسلوفاكيا أياما جميلة حلوة .. وعندما وصل إلى براغ لأول مرة خيل إليه أنه وصل إلى كنز .. أن الجنيه الاسترلينى هناك يبدل فى السوق السوداء بما قيمته خمسة جنيهات .. أى خمسة أضعاف السعر الرسمى .. ما يساوى خمسة جنيهات تشتريه بجنيه واحد .. والدكاكين هناك مشحونة بالتحف وقطع الأثاث التى استولت عليها الحكومة من قصور النبلاء بعد الثورة .. وقد اشترى .. اشترى كثيرا ، حتى اضطر أن يعود بالمركب ليشحن نفسه مع كل ما اشتراه .. أن صالون بيته اشتراه من براغ بمائة جنيه فقط ..

إنه يساوى فى لندن خمسمائه جنيه بالسعر الرسمى .. ولكنه لو أراد أن يبيعه فى لندن لاستطاع أن يبيعه بألف جنيه .. أما فى القاهرة فقد عرض عليه فيه ثلاثة آلاف جنيه ، ورفض أن يبيعه .. وانطلقت فى صدر عباس ابتسامة كبيرة لم تبد من خلف شفتيه المزمومتين ، مهنئا نفسه بصفقة شراء الصالون .. لقد فرحت به زوجته منيرة فرحا كبيرا ، وغفرت له كل خطاياه ، وجنت انعام زوجة زميله رفعت .. ولم تفق من جنونها إلا بعد أن اشترى لها رفعت صالونا من روما .. اشتراه بخمسمائة جنيه استرلينى .. ولكن ايش جاب لجاب .. إن رفعت لا يمكن أن يصل إلى شطارته فى الشراء .

وانتبه عباس من ذكرياته على صوت تصفيق يدوى فى القاعة ..

وبسرعة فك ذراعيه وصفق .. ترى ماذا قال مندوب تشكوسلوفاكيا حتى يقاطعه المؤتمر بالتصفيق .. لا يهم ..إنه سيقرأ الخطاب بعد أن يطبع ويوزع .. لماذا يفرض على أعضاء المؤتمرات أن يستمعوا إلى الخطب ، ما دامت الخطب تطبع وتوزع عليهم ويستطيعون قراءتها فى تمعن وهدوء .. هذا سر لم يستطع أن يكتشفه حتى اليوم ..

وعاد عباس وركز عينيه على وجه مندوب تشيكوسلوفاكيا وهو يلقى خطابه .. لقد اشترى من براغ أيضا مشبكا نسائيا على شكل زهرة محلاة باللؤلؤ ، كان ملكا لاحدى العائلات الأرستقراطية قبل الثورة .. اشتراه بعشرين جنيها استرلينيا .. أى بمائة جنيه بالسعر الرسمى .. وأهداه لزوزو .. وهو

لا يستطيع أن ينسى النظرة المبهورة التى رآها فى عينيها يوم قدمه لها .. كأنه قدم لها نجمة من السماء .. وقد ظلت تتباهى بالمشبك عدة أسابيع فى صالونات القاهرة .. ثم فجأة اختفى المشبك .. اسكت يا عباس ،، مش الدبوس اتسرق .. سرقته الخدامة ، و طردتها .. ما قدرتش أعمل فيها أكثر من كده .. وصدقها .. لم يكن يستطيع إلا تصديقها ، حتى بعد أن اكتشف أنها باعت الدبوس لجواهرجى فى مصر الجديدة .. باعته بمائة وخمسين جنيها .. عبيطة كانت تستطيع أن تبيعه بمائتين ..

وهز عباس رموشه فوق عينيه يحاول أن يطرد ذكرياته من خياله .. يجب أن يتنبه لما يقوله مندوب تشيكوسلوفاكيا .. ربما قال شيئا هاما .. وركز انتباهه خلال السماعة المعلقة فى أذنيه ، وسمع المندوب يقول : إن الشعوب ظلت تسعى إلى السلام من بدء الخليقة إلى أن وصلت إلى اتفاقيات جنيف .. جنيف .. لقد التقى بزوزو لأول مرة فى جنيف .. كانت وحيدة .. تركها زوجها هناك وسافر إلى ألمانيا فى بعض مهامه .. وقد جلس بجانبها فى مأدبة أقامها أحد رجال السفارة فى مطعم عام .. وكان أول ما راعه منها ضحكتها .. إنها تضحك ضحكة واسعة مجلجلة تبرق خلالها أسنانها البيضاء كإعلانات النيون .. وتضحك كثيرا .. تضحك لتجيب على سؤال .. وتضحك لتلتقط أنفاسها خلال كلامها .. وعندما تتكلم ، تتكلم معها كل قطعة منها .. عيناها تتكلمان .. وصدرها يتكلم .. سيقانها تتكلم .. تكاد تعبر عن كلامها بالرقص .. وتوترت أعصابه وهو يرقبها ، ولكنه لم يستطع أن يتجاهلها ..

إنها لا تسمح لأحد بأن يتجاهلها .. إنها تجذب إليها كل من حولها بقوة .. بعنف .. بالعافية .. وساقها تخبط ساقه من تحت المائدة .. وذراعها تلمس ذراعه فوق المائد ة .. ولم يحاول أن يفسر هذه اللمسات .. ربما كانت هذه هى طبيعتها .. لمسات بريئة .. إلى أن سألته .. أشتريت إيه من جنيف .. إنه يريد أن يشترى قطعة قماش لزوجته منيرة ، ولا يدرى من أين يشتريها .. واتسعت ابتسامتها حتى آخرها إنها مستعدة أن تنزل معه إلى السوق صباح الغد .. ثم أطلقت ضحكتها الكبيرة.. ونام حتى الغد وصورتها فى خياله .. صورة مهزوزة .. إنه حتى الآن لا يستطيع أن يفهمها ، ولا يستطيع أن يحكم عليها .. وفى الغد أنهى أعماله فى المؤتمر بسرعة وذهب إليها .. إنها تترك يدها فى يده فترة طويلة ، وأصابعها تضغط على أصابعه .. لا .. لابد أنه واهم .. ووجد نفسه يسير بجانبها فى شوارع جنيف .. يدخل دكانا ويخرج من دكان وهى التى تتكلم دائما .. وتحسب أسعار النقد بسرعة كأن رأسها آلة حساب الكترونية .. ويمد يده بالنقود التى معه فتأخذ منها وتدفع .. ثم فضل أخيرا أن يعطيها كل ما معه لتتصرف وتعيد له الباقى .. ووضعت ذراعها فى ذراعه وهما سائران فى شارع .. ولصقت ساقها بساقه وهما فى السيارة.. لم يعد عنده شك .. إنها امرأة ممكنة .. ولكن زوجها.. الرجل المحترم .. إنه لا يستطيع أن يصدق أن زوجة هذا الرجل يمكن أن تكون سهلة إلى هذا الحد .. واشترت قطعتى قماش لزوجته، واشترت لنفسها حقيبتين دفعت ثمنهما من نقوده

دون استئذانه .. ومالت عليه حتى كادت شفتاها تصلان إلى شفتيه .. وقالت : مرسى .. ورغم ذلك فهو لا يستطيع أن يصدق .. لا يمكن أن تكون زوجة هذا الرجل المحترم من هذا الصنف من الزوجات .. ربما لأنه حتى هذه الإيام لم تكن فى حياته امرأة ثانية .. لم تكن فى حياته سوى زوجته منيرة ، لم يكن قد اختلط بعد بهذا المجتمع الواسع الذى يستطيع فيه كل زوج أن يجد امرأة ثانية . وتستطيع فيه كل زوجة أن تجد رجلا ثانيا .. وربما لاحظت زوزو سذاجته .. إنها تنبهه نباهة صارمة وأن كانت نباهتها محصورة فى موضوع واحد ، ودلتها نباهتها على أنه لم يفهم بعد .. فأخذته إلى مطعم فوق قمة خضراء خارج جنيف لتناول الغداء .. وبلا مناسبة أخذت تحدثه عن حياتها الزوجية التعيسة .. إنها لا تحب زوجها .. لقد تزوجته لأنها كان يجب أن تتزوج .. وبعد الزواج حاولت كثيرا أن تحبه .. عاشت سنوات كخادمة له .. تطبخ وتكنس وتحمل وتلد .. وتتحايل على نفسها أن تحبه .. ولكنها لم تستطع .. أبدا لم تستطع .. أكثر من ذلك .. هل تدرى أنى لا أطيق تقبيل زوجى .. إنى لم أقبله منذ تزوجته .. أبدا .. إنى أسمع عن القبلات فى القصص . وعلى شفاه صديقاتى .. ولكنى لا أعرفها .. لقد أنجبت كل أولادى بلا قبلات .. إنى إنسانة محرومة .. محرومة من الحب .. ومحرومة من حقى .. و .. والدموع فى عينيها .. ثم أطلقت ضحكة كبيرة عصبية تمسح بها دموعها .. وكان يجب أن يفهم .. وفهم .. زوجة محرومة تستغيث به .. واعتذر عن حضور اللجنة الفرعية التى

انعقدت بعد الظهر .. وظل معها .. عادا مرة ثانية إلى دكاكين جنيف .. واشترت حذائين وقبعة من فراء جلد النمر .. ودفعت من نقوده .. وهو ساكت .. مستسلم .. وفى المساء صحبته إلى أحد الملاهى .. وهو بجانبها يعانى ارتباكا شديدا .. إنه لا يدرى إلى أين سينتهى به كل ذلك .. إنه يخطو دون أن يدرى أين سيضع قدمه فى الخطوة التالية . وهو يتكلم .. يتكلم أى كلام.. وقال لها خلال كلامه أنه لم يتعود على ترتيب غرفته .. وأن غرفته فى الفندق فوضى .. قالها بلا قصد .. إنما فقط ليفصح لها عن شخصيته .. ولكنها ابتسمت له ابتسامة غرق فى معانيها .. وقالت كأنها تطمئنه .. سأذهب معك لأرتب لك الغرفة .. وانتهت زجاجة النبيذ التى طلبتها .. وذهبت معه .. وكله يرتعش .. ركبتاه ترتعشان .. قلبه يرتعش .. حتى أذناه خيل إليه أنهما ترتعشان .. وما كاد باب الغرفة يقفل خلفهما حتى خيل إليه أن زوزو أصبحت امرأة أخرى .. لقد هدأت عصبيتها . وسكتت ضحكتها .. وأحمر وجهها .. وأرخت أهدابها فوق عينيها الكبيرتين الواسعتين .. بدت كعذراء فى ليلة زفافها .. واحتار ماذا يفعل .. إنه لا يزال غير مصدق .. ولا يزال خائفا من أن يكون قد ظلمها فى فهمه لها .. وتقدم نحوها خطوة مترددة .. وخطوة ثانية . وأمسك بيدها .. إن يدها باردة كأنه أول رجل يمسك بيدها .. ومال عليها بشفتيه.. وقبلها .. وألقت نفسها فى قبلته .. لا .. لا يمكن أن تكون هذه المرأة لم تقبل حتى الآن .. لا يمكن أن تكون هذه هى قبلتها الأولى .. إنها قبلة خبيرة .. أستاذة .. و .. كانت ليلة ربما كان

أمتع ما فيها إحساسه بأن زوزو ليست امرأة من الطريق .. ولكنها زوجة رجل محترم ..

ودوت قاعة المؤتمر بالتصفيق ..

وانتبه عباس من ذكرياته فزعا .. وفك ذراعيه من فوق صدره واشترك فى التصفيق .. وابتسم لأنه وجد كل أعضاء المؤتمر يبتسمون .. ومن خلف ابتسامته أخذ يلوم ويؤنب نفسه.. مالى ومال زوزو دلوقت .. ما تندعق فى ستين داهية.. خلينا فى شغل المؤتمر .. شغل إيه .. هو المؤتمر فيه شغل .. إنه يستطيع أن يعرف بالضبط كل ما يقوله كل مندوب فى خطابه قبل أن يقرأه .. خمس سنوات علمته أنه لا جديد فى المؤتمرات. ولا فى الخطب . ولا فى القرارات .. المهم تحديد مكان انعقاد الدورة التالية .. فين .. روما .. باريس .. لندن .. ولكن تحديد المكان لم يحن وقته . وليس أمامه إلا أن ينتظر إلى أن تنتهى هذه الخطب .. ما تزهقش يا عباس .. خليك جامد ..

وأخرج نظارته السوداء من جيبه ووضعها فوق عينيه ليريحهما من نظرة الاهتمام والجدية التى يفتعلها .. وانطلق صوت مندوب تشيكوسلوفاكيا من خلال السماعة التى يسد بها عباس أذنيه صائحا : إن النظام الاقتصادى العالمى يجب أن يعدل ليحقق المساواة والعدالة بين الأمم .. فعلا إن نظام الاقتصاد العالمى خرب بيته .. لقد أفلس بعد يومين قضاهما مع زوزو فى جنيف .. وكان عليه أن يقترض إذا أراد أن يستمر معها .. أن يأخذ من أى واحد فرنكات سويسرية ويدفعها له فى القاهرة بالجنيه المصرى .. عملية يسمونها

مقاصة غير مشروعة .. يعنى تهريب .. وهو لم يجرب التهريب قبل اليوم .. كان بدل السفر يكفيه .. ويكفى الهدايا التى يحملها لزوجته وأولاده عقب كل مؤتمر .. ولكن زوزو .. إنها الجنة .. وقد وعدته أن تسافر معه فى عطلة نهاية الأسبوع إلى سان موريتز فوق جبال الألب .. تقضى معه ليلتين كاملتين فى غرفة واحدة .. ليلتين فى الجنة . إنه مستعد أن يرتكب أى جريمة ليبقى فى الجنة .. مغفل من يترك الجنة بقدميه .. الشيطان وحده هو الذى ترك الجنة .. وهو ليس شيطانا .. إنه إنسان .. مجرد إنسان .. ثم أن جريمة التهريب جريمة مغفورة.. كل زملائه يهربون .. ثم بدأ يبحث عمن يقترض منه.. وفكر أن يلجأ إلى السفير .. إنه صديقه وهو رجل بحبوح وخدوم .. ربما كان الأفضل أن يلجأ إلى مستشار السفارة . فالسفراء يتحرجون فى مثل هذه المواضيع .. ولكن زوزو لحقته ودلته على الرجل الوحيد والأصلح الذى يستطيع أن يقترض منه .. إنه ساعى السفارة .. إن سعاة السفارات هم بنوك الإقراض لكل من يسافر إلى أوربا .. وهم دائما على استعداد لأى مبلغ .. فهم لا ينفقون شيئا فى الخارج .. ليسوا كأعضاء السفارة مضطرين إلى الانفاق على مظهرهم .. كل ما يصل إلى أيديهم يحولونه إلى مصر .. الجنيه الاسترلينى باثنين ونصف مصرى .. وذهبت زوزو بنفسها واتفقت مع الساعى .. الجنيه بأربعة فرنكات سويسرية .. أكثر من ضعف السعر الرسمى .. الحرامى .. اللص .. ولكن معلهش .. المحتاج مضطر .. وهو محتاج .. محتاج لزوزو .. واقترض ما قيمته

خمسمائة جنيه مصرى .. دون أن يفكر من أين سيأتى بها .. وعاد إلى الجنة .. إلى زوزو .. إلى الضحكة الكبيرة المجلجلة .. والاسنان البيضاء المغسولة بأومو .. والعينين الكبيرتين الواسعتين .. والجبين العالى الذى يخفى خلفه ورشة ذكاء .. إن هذه المرأة تستطيع أن تملأ كل ما فى الرجل .. تملأ قلبه وعقله وأعصابه .. وجسده .. وعينيه .. وأذنيه .. وقد قالت له وهى بين ذراعيه فى غرفتهما بسان موريتز .. ونار المدفأة تلقى ظلالا حمراء دافئة على جسده وجسدها .. قالت له .. أحبك .. وصدقها ..

ودوت قاعة المؤتمر بالتصفيق ..

تصفيق حاد ..

وانتبه عباس إلى أن مندوب تشيكوسلوفاكيا قد أنهى خطابه .. ففك ذراعيه بسرعة واشترك فى التصفيق بحماس شديد . ثم خلع نظارته السوداء وتتبع بعينين نشيطتين مندوب تشيكوسلوفاكيا وهو يترك المنصة .. وانتظر إلى أن مر به .. فقام واقفا وصافحه بحرارة قائلا له فى صوت ملىء بالاخلاص : برافو .. عظيم .. أهنئك .. واتسعت ابتسامة مندوب تشيكوسلوفاكيا حتى آخرها ثم استمر فى طريقه .. وعاد عباس إلى جلسته .. وقلب بعض الأوراق الموضوعة أمامه دون أن يقرأ فيها شيئا .. ثم نظر فى ساعته .. بقيت ساعة على موعد انتهاء الجلسة .. وشد نفسا عميقا من صدره .. وأعاد وضع نظارته السوداء فوق عينيه .. وزم شفتيه ليستكمل المظهر الجاد الوقور .. وثبت السماعة فى أذنيه ..

وعقد ذراعيه فوق صدره فى حزم وتصميم .

وصعد إلى المنصة مندوب نيكاراجوا ..

وصفق عباس ثلاث صفقات .. يادوب .. إن مندوب نيكاراجوا لا يستحق أكثر من ذلك .. ثم بدأ يستمع .. يجب أن يستمع إلى كل كلمة .. إن مندوب نيكاراجوا يقف فى الجانب المضاد .. ويثير دائما كثيرا من المشاكل فى كل كلمة يلقيها .. وسيكون له بالمرصاد .. كل كلمة منه سيردها له بعشر .. إنها حرب الكلمات .

وقال مندوب نيكاراجوا فى صوت حازم .. إننا عندما نتحدث عما تعانيه الدول النامية من فقر وجهل ومرض .. فإنما نعنى الاستعمار .. هذا صحيح .. وليس فيه جديد .. كل الأعضاء يتحدثون عن الاستعمار .. الاستعمار القديم .. والاستعمار الجديد .. الاستعمار العسكرى .. والاستعمار السياسى .. والاستعمار الاقتصادى .. ولكن لا أحد تحدث عن الاستعمار الفردى .. استعمار الفرد للفرد .. وقد استعمرته زوزو .. منذ أن عاد إلى القاهرة .. أصبح مستعمرة خاصة لزوزو .. وكانت قد تركته فى جنيف وسافرت إلى القاهرة لتلتحق بزوجها . بعد أن أوصته بأن يشترى لها طقم صينى سيفر . وبعد أن تركت له حقيبتين كبيرتين ليحملهما لها ويستغل نفوذه فى المرور بهما من الجمرك دون تفتيش .. واتصل بها بمجرد وصوله . من تليفون المطار وأعطته موعدا فى اليوم التالى .. فى شقة فى الجيزة .. وذهب حاملا الحقيبتين .. لقد قالت له أن الشقة لإحدى صديقاتها .. ولكنه

لم ير صديقتها .. وأثاث الشقة لا يدل على أنها شقة عائلة .. لا يهم .. لماذا يشغل نفسه بهذه التفاصيل .. إنه مع زوزو .. فى الجنة .. وقد تعود لقاءها فى هذه الشقة مرتين فى الأسبوع .. أحيانا ثلاث مرات .. وفى أى وقت .. أحيانا يتناولان طعام الغداء معا .. أحيانا تسهر معه حتى منتصف الليل .. وكان كثيرا ما يتساءل كيف يسمح لها زوجها .. الرجل المحترم .. بكل ذلك .. ولكنه كان يكتم تساؤله .. ماذا تهم التفاصيل .. وهى لا تتحدث عن زوجها إلا نادرا .. وفى كلمات عابرة .. إن معظم أحاديثها طلبات .. وهو يذكر بعد عودته من جنيف بأسبوعين أن اتصلت به بالتليفون وقالت وضحكتها المجلجلة تملأ أذنيه : عباس ماعكش ميت جنيه . عايزاهم ضرورى .. ولم يكن قد أفاق بعد من تسديد القرض الكبير الذى اقترضه فى جنيف .. ولكنه قرر أن يعطيها المائة جنيه .. لقد أحس ساعتها أنه مسئول عنها .. رجلها .. ولا يدرى لماذا تحمل مسئوليتها .. ربما لحاجته إليها .. والمائة جنيه ليست خسارة فى زوزو .. إنها ليست امرأة من الشارع حتى يعطيها جنيها أو اثنين .. إنها زوجة رجل محترم .. ولكن المائة جنيه تكررت .. كل شهر مائة جنيه .. وفى كل شهر حجة جديدة .. وأحيانا كان يدفع دون أن يكلفها اختلاق حجة .. وكان يحاول دائما أن يفلسف حاجتها النهمة إلى النقود .. إن زوجها فى مركز محترم .. ومرتبه لا يكفى مظاهر مركزه .. وهو يدفع لها ليعينها على الاحتفاظ بالمظهر الذى يتطلبه مركز زوجها .. إنه فى الواقع يؤدى خدمة عامة .. ولكن .. لا .. هناك سبب آخر

أكثر واقعية .. فقد عرف عن زوزو فى القاهرة ما لم يعرفه عنها فى جنيف .. سمع عنها كثيرا من الحكايات .. واكتشف لها كثيرا من الصداقات .. صداقات مريبة .. أحس أنه ليس وحده .. وكان يدفع لها بكل هذا السخاء ليغنيها عن كل الرجال ليملأ عينيها الواسعتين .. وفى كل عين بئر لا تمتلىء .. عينان مثقوبتان كلما استوعبتا فرغتا .. وهو يدفع .. ويدفع .. واضطر إلى أن يلجأ إلى أبواب لم يكن يلجأ إليها من قبل .. أبواب يستطيع أن يغترف منها ليعطى زوزو .. وقد التقى عند هذه الأبواب بكثير من زملائه .. كلهم يغترفون .. وكلهم في حماية بعضهم البعض .. لا خوف عليه .. لقد أصبح هو الآخر فى حمايتهم .. وهو يدفع لزوزو فى اطمئنان .. ويدفع .. ويدفع .. ويدفع .. والضحكة المجلجلة تملأ من حوله السماء والأرض .

ودوت قاعة المؤتمر بالتصفيق ..

وافاق عباس من ذكرياته .. ولوى شفتيه فى امتعاض .. لم يشترك فى التصفيق .. ربما كان كل جدوى التصفيق هو إيقاظ النيام . وقطع شرائط الذكريات .. ثم ماذا يقول هذا المعتوه مندوب نيكارجوا .. إنه يقول .. إننا نريد الحرية لأننا نريد الرخاء لشعوبنا .. لو أنه رأي بيت زوزو لعرف ما هو الرخاء .. وقد تردد كثيرا قبل أن يقبل دعوتها إلي إحدي سهراتها .. لم يكن يعرف زوجها .. كان يسمع عنه ولكنه لا يعرفه .. وهو لا يريد أن يعرفه .. يكره أن يعرفه .. ولكنه فوجىء بالزوج المحترم يتصل به بالتليفون ويشكره على

اهتمامه بزوجته بجنيف ويدعوه إلى السهرة .

واضطر أن يقبل الدعوة .. ولكن زوزو أصرت على أن تدعو زوجته أيضا .. لا .. إلا منيرة .. سيبى منيرة فى حالها .. ولكن زوزو تجادله ، وهو لا يستطيع أن يصارحها بأنه لا يريد لزوجته أن تختلط بها .. بهذا الصنف من الزوجات .. وأخيرا اتصلت زوزو بزوجته ودعتها .. واضطر أن يسكت .. والسيارات عند الباب كلها مرسيدس وشفرليه .. وواحدة بويك .. ولم يستطع أن يرفع عينيه فى وجه زوج زوزو عندما صافحه لأول مرة .. ولكنه استوعب ملامحه فى نظرات سريعة مرتبكة .. وخيل إليه أنه رجل ماسح .. أملس كالبيضة المسلوقة .. وصوته ناعم كأنه لم ينضج بعد .. وكل المدعوين ناس محترمون .. وزوجاتهم .. وكل الثياب مستوردة من الخارج .. ليس هنا سيدة واحدة ترتدى ثوبا من قماش محلى .. وفصوص الماس تبرق فى الأصابع وحول المعاصم .. إننا فى القاهرة .. وكان يجب أن يؤكد لنفسه أنه فى القاهرة .. والتفت إلى جهاز كبير يضم راديو ، وتليفزيون ، وبيك آب . وريكوردر .. وخيل إلى أنه رأى هذا الجهاز من قبل .. نعم رأيته .. وكنت مع فهمى عبد العال عندما رأيناه معا فى برلين ، وكان فهمى يحاول أن يشتريه .. أن فهمى بين المدعوين .. وناداه من بعيد .. أليس هذا هو الجهاز الذى رأيناه معا فى برلين ؟.. وابتسم فهمى وغمز بعينه وابتعد عنه .. وتعلم أن تقاليد هذا الصالون لا تسمح بالكلام الصريح فى كل المواضيع.. هناك مواضيع تكفى فيها الابتسامة وغمزة العين ..

ودار يتلفت حوله .. ترى من اشترى هذه اللوحة .. وهذا المقعد.. وهذا البوفيه .. إن الطقم الصينى السيفر الذى اشتراه من جنيف موضوع على المائدة .. من اشترى طقم الفضيات .. والباقى .. من اشتراه .. وخيل إليه أنه فى بيت أحد هواة الصيد .. وكل قطعة فى البيت هى رأس وحش اصطاده .. اصطادته زوزو .. وزوزو فى السهرة هى الصوت والضوء والحركة .. وهى كل شىء .. وزوجها قابع فى ركن يحاول أن يدعى الوقار .. ترى هل يدرى الزوج من أين أتت كل هذه الأشياء إلى بيته .. إن كان يدرى فتلك مصيبة ، وإن كان لا يدرى فالمصيبة أعظم .. ومنيرة .. إن منيرة مبهورة بكل ما حولها .. وقلبه يجرى خلفها .. إنه يخاف عليها أن ترفع ثوبها عن ركبتيها ، كما تفعل زوزو .. ويخاف عليها أن تضحك هذه الضحكة المجلجلة كما تضحك زوزو .. أو تنظر هذه النظرات الجريئة .. نظرات زوزو .. ولكن لا .. منيرة صنف تانى .. بنت أصل .. شبعانة .. لها مبادىء .. ليست كزوزو .. حبيبته زوزو .. وزوزو تلاحقه بدعواتها .. هو وزوجته .. كل أسبوع سهرة على الأقل .. ومنيرة معجبة بزوزو .. إنها تحبها .. لقد استعمرت زوزو زوجته كما استعمرته .. دائما معا .. تخرجان معا وتتحدثان فى التليفون معا طول النهار .. ماذا تريد زوزو من زوجته ، لماذا لا تتركها فى حالها .. ولكن زوزو تريد كل شىء ، وتستطيع دائما أن تحصل على كل شىء .

ودوت قاعة المؤتمر بالتصفيق ..

ومندوب نيكاراجوا يصيح .. إن الذين يطالبون بالمنافسة الحرة بين الأمم فى مجال التجارة والصناعة عليهم أن يبينوا لنا كيف تستطيع الأمم المستعمرة أن تدخل فى هذه المنافسة .. المنافسة .. لقد عاش فى منافسات قاتلة مع عشرات الرجال حول زوزو .. ولم يستطع أبدا أن يعرف هل انتصر فى هذه المنافسات أو انهزم ، فزوزو تلفه فى كذباتها .. إنها ربة الكذب .. إنها كالصابونة المبتلة لا تستطيع أن تمسك بها .. إلى أن ظهر فى صالون زوزو السيد عبد الموجود عبد ربه .. وأصبح نجم الصالون .. إن عبد الموجود يستطيع أن يصنع المعجزات ، لقد صنع معجزة لابن خديجة هانم .. ومعجزة أخرى لزوج نازلى هانم .. ومعجزة ثالثة لشقيق سعاد هانم .. ثم وعد زوزو بالمعجزة التى تسعى وراءها منذ عادت من جنيف .. أن يعين زوجها فى مركز كبير فى الخارج .. وهو يستطيع أن يعينه فعلا .. وزوزو مستعدة أن تذبح أبناءها فى سبيل الحصول على عمل فى الخارج ، وتذبح أيضا المسكين عباس رمزى .. وكان عليه أن يدخل فى منافسة جديدة مع عبد الموجود .. ولكن لا .. لقد تعب .. يريد أن يبتعد عن كل هذا.. يريد أن يعود هادئا ، نظيفا ، مستقرا كما كان .. يريد نعيم بيته وزوجته وأولاده .. وحاول أن ينسحب فعلا خصوصا بعد أن رأى سيارة عبد الموجود أمام العمارة التى تضم شقة الجيزة .. وفى ثورة حازمة لم يعد يتصل بها بالتليفون .. غير رقم تليفونه .. وحرم على زوجته الاتصال بها .. ومر أسبوع وهو يعلم أن زوزو تلاحقه ولا تستطيع

الوصول إليه .. وفى خلال هذا الأسبوع بدأ يشعر بالأموال الهائلة التى أنفقها على زوزو .. ويشعر بالغيظ والحقد .. فلوسى راحت يا عالم .. وأكثر من ذلك .. كان قد تعود خلال هذين العامين أن تكون فى حياته امرأة ثانية .. لم يعد يستطيع أن يعيش بلا امرأة ثانية .. وفى نهاية الأسبوع استطاعت زوزو أن تصل إليه .. وهى تستطيع دائما أن تجد الكلمة التى تقنعه بها .. واللمسة التى تتسلل بها إلى ضعفه .. و .. عبد الموجود ده إيه .. ده شكله زى الخفير ودمه تقيل وبخيل ونتن .. وإيه عرفك إنها عربيته اللى كانت واقفة قدام الشقة .. طيب نمرة عربيته كام .. وهو لا يعرف رقم سيارة عبد الموجود.. واقتنع .. أقنعته زوزو بأن ليس بينها وبين عبد الموجود شيء .. ووعدته أن تقطع كل صلة لها به .. وهى تريد بالطو من فراء الفيزون .. ياه .. فيزون .. يعنى ثلاثة آلاف جنيه على الأقل .. وقد استطاع فعلا أن يجد طريقا لتحويل ثلاثة آلاف جنيه .. حولها إلى باريس .. والمؤتمر سينعقد فى باريس الشهر القادم .

ودوت قاعة المؤتمر بالتصفيق ..

انتهى خطاب مندوب نيكارجوا ..

وصفق عباس فى برود .. ثم نظر فى ساعته .. لقد انتهت الجلسة .. وبدأ يجمع أوراقه ، ولكنه فجأة سمع صوت سكرتير المؤتمر يعلن أن وفد كوالاباما قد تقدم بطلب عقد الدورة القادمة للمؤتمر فى الشهر القادم فى عاصمة كوالاباما ..

وصفق بعض أعضاء الوفود ..

وألقى عباس أوراقه من يديه .. كيف يعقد المؤتمر فى كوالاباما .. إنه لا يستطيع أن يشترى الفيزون من كوالاباما .. ثم إنه حول المبلغ فعلا إلى باريس ..

ووقف أحد أعضاء الوفود يشكر وفد كوالاباما ويؤيد الاقتراح.

ورفع عباس أصبعه وصرخ :

– نقطة نظام .. نقطة نظام ..

وعندما تطالب بالكلام فى نقطة نظام ، فاللوائح تقضى بأن يصبح لك الحق فى الكلام قبل غيرك من المتكلمين فى الموضوع .

وأعطى رئيس المؤتمر الكلمة لعباس ..

ووقف عباس ، وشد قامته ، وأطلق صوته فى وضوح ووقار وقال :

– أعتقد أن اللجنة الإدارية الفرعية هى المختصة بنظر هذا الاقتراح ، خصوصا أن هناك عدة اقتراحات أخرى قد قدمت للجنة فعلا ، لذلك أقترح إحالة اقتراح الزميل المحترم مندوب كوالاباما إلى اللجنة الفرعية لاتخاذ قرار فيه ثم عرض قرارها على المؤتمر .

ونظر رئيس المؤتمر إلى سكرتير المؤتمر ، فهز هذا رأسه موافقا ثم عرض الرئيس الموضوع على المؤتمر فوافق على احالة دعوة مندوب كوالاباما إلى اللجنة الفرعية ..

وقام عباس منطلقا بكل نشاطه إلى خارج القاعة .. إن عدد

أعضاء اللجنة الفرعية عشرة ، والتأثير عليهم أسهل من التأثير على كل وفود المؤتمر .. وسيعرف كيف يؤثر عليهم لعقد المؤتمر فى باريس .. . إذا كان عبد الموجود عبد ربه قد وعد زوزو بنقل زوجها إلى الخارج ، فهو يعدها بنقل مؤتمر كامل من بلد إلى بلد .

وطاف بين ردهات المؤتمر يتحدث إلى أعضاء اللجنة الفرعية وتناول طعام الغداء مع ثلاثة منهم .. ولكن عندما انعقدت اللجنة بدأ مندوب كوالاباما يستحوذ على تأييد عدد من الأعضاء .. إن انعقاد المؤتمر فى بلده له أهمية خاصة فى تأييد الحكم الوطنى التقدمى هناك ، خصوصا أن القوى الاجنبية تحاول أن تثير الشعب على حكومته .. و .. وعباس يتلمظ غيظا.. إن المؤتمر يجب أن يقدم المهام العامة والخاصة بمستقبل وقضايا الشعوب على المسائل الخاصة بحكومة من الحكومات.. وانعقاد المؤتمر فى باريس يعطيه صفة دولية هامة، ويوسع اتصالاته ، ويضع أجهزة الإعلام العالمية فى خدمته ، علاوة على أن الوفد الفرنسى قد أبدى استعداده لاستضافة كل أعضاء المؤتمر وزيادة عدد تذاكر الطائرات إلى مائتى تذكرة ..

واحتدم النقاش ..

وعاد عباس يرفع أصبعه ويصيح :

– نقطة نظام .. نقطة نظام ..

وأعطى الكلمة ..

وقال فى صوته الوقور الواضح :

– نظرا لكثرة ما أمام اللجنة من أعمال .. ونظرا لضيق وقت

اللجنة .. فإنى اقترح تكوين لجنة فرعية من داخل لجنتكم الموقرة لبحث موضوع تحديد مكان انعقاد المؤتمر .. على أن تعرض قرارها عليكم فى خلال ساعة واحدة ..

ووافق الأعضاء على اقتراح عباس ..

وتألفت لجنة من ثلاثة أعضاء .. اثنان منهم كانا يتناولان طعام الغداء مع عباس ..

ووافقت اللجنة المتفرعة من اللجنة الأصلية على عقد المؤتمر فى باريس ..

ثم وافقت اللجنة الأصلية ..

ثم وافق المؤتمر ..

ودوت القاعة بالتصفيق .. تصفيق حاد صاخب ..

وخرج عباس مهرولا وابتسامته تملأ شدقيه ، وقلبه يطير من الفرح ..

جاءك الفيزون يا زوزو ..



وعاد عباس إلى القاهرة ..

وفوجىء بالقبض عليه قبل أن يخرج من المطار .. لماذا .. ماذا فعلت .. إنها دسيسة .. مقلب .. إنى أعرف من دس لى .. أعرف صاحب المقلب .. إنه عبد الموجود عبد ربه .. لا تصدقوه .. إنه إنسان حقود قذر ، دساس ..

ولم يهدأ عباس إلا بعد أن علم أن عبد الموجود عبد ربه يقيم فى الزنزانة المجاورة .. وأطلق من صدره زفرة طويلة ألقت به إلى آخر مهاوى اليأس .. وهمس منهارا :

كده برضه يا زوزو !..

العنوان على الانترنت
WWW. akhbarelyom. org\ketab
البريد الالكترونى
akhbar@akhbarelyom. org

رقم الإيداع
٢٠٠١/٤٤٠٣
الترقيم الدولى
977 - 08 - 0985 - 3